TMS_410_12/01

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب والعلوم إنسانية

قسم لغة عربية وآدابها

جامعة بوبكر بلقايد تلمسان
كلية الآداب واللغات
مكتبة اللغة و الأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر

مسجل تحت رقم .....
2013
fac/LT/02079

الموسومة بـ:

تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية

من اعداد الطالبتين:

- عبدلي سميرة
- لحمر فاطمة الزهرة

تحت اشراف الأستاذة:

أ. شعبان صاري زوليخة

السنة الجامعية:

2011م - 2012 م

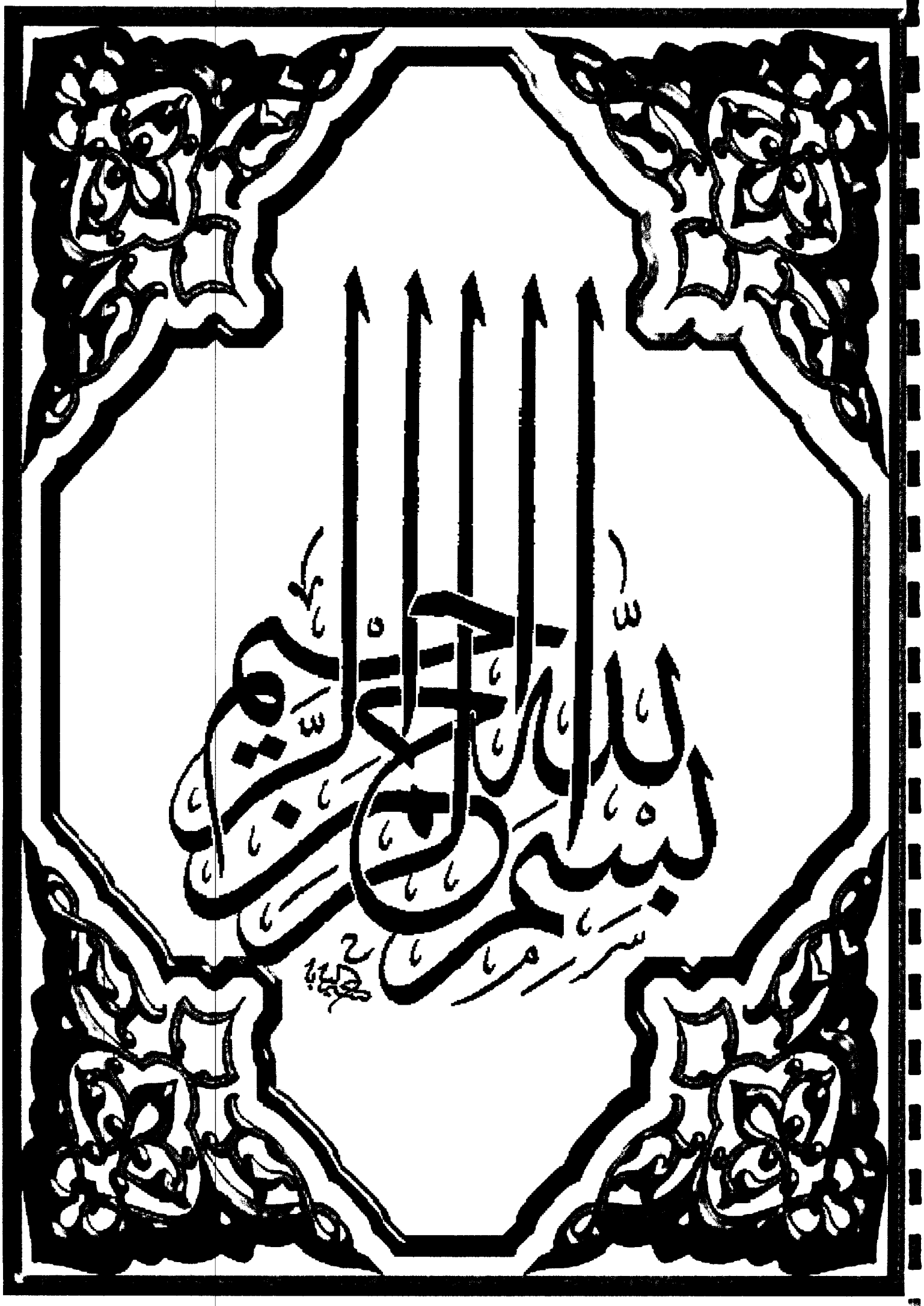
بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

يا رب

لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت و لا أصاب باليأس

إذا فشلت بل ذكرني دائما بأن الفشل هو التجارب التي تسبق

النجاح يا رب علّمني أن التسامح هو أكبر مراتب القوة و إن حب

الانتقام هو أول مظاهر الضعف، يا رب إذا جردتني من المال أترك

لي الأمل وإذا جرّدتني من النجاح أترك لي القوة حتى أتغلب على

الفشل وإذا جردتني من نعمة الموعظة أترك لي نعمة الإيمان

يا رب إذا أسأت إلى الناس أعطيني شجاعة الاعتذار

و إذا أساء لي الناس أعطني شجاعة العفو

يا رب إذا نسيتك لا تنساني.

آمين

كلمة شكر وتقدير

اللهم علّمني بما ينفعني، وانفعني بما علّمتني، وزدني علما

فبأصدق الكلمات وأسمى المعاني نتقدم بالشكر الجزيل إلى من قال فيه الشاعر

قم للمعلم ووفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

إلى الأستاذة المشرفة "شعبان صاري نرولیخة" على كل ما قدّمته لنا من توجيهات

ونصائح التي أنارت لنا درب هذا البحث، فكانت نعم العون ونعم السند

إلى الأستاذ المناقش "بن مهدي نور الدين" الذي نعي تماما أن نقده سيكون

نقدا بناءا وآرائه شرفا يعلي هممنا وينير دربنا

إلى كل الأساتذة الذين بفضلهم نلنا ما أردنا

إلى من كان لها الفضل كتابة وطبع

هذه المذكرة

مقدمة

الفصل الأول

الحملة النابليونية

وأبعادها

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، و بعد:

الحمد لله الذي خلق اللسان وعدّد الأجناس وجعل بينهم القدرة على الإفصاح والتفاهم، كما جعل الترجمة أداة نافعة لنقل العلوم والمعارف والآداب، تحمل في مساعيها الخير للإنسانية، فهي من أهم البواعث على التقارب البشري و دعامة لا غنى عنها في بناء صرح نهضة ثقافية وحضارية.

بعدما حل الضعف والهوان في الأمصار العربية و الإسلامية محل القوة والسلطان، لاحت في الأفق بوادر حركة اليقظة في عصر النهضة في الشرق الأوسط، ولما تعددت وسائل الأخذ والعطاء والتأثر و توطدت الصلات بالثقافات الأجنبية، تغذت العربية من منابع جديدة واستفاد العقل العربي بأنماط وأساليب في التفكير أوروبية غربية، فكل أدب يحتاج إلى الالتفات نحو الآداب الأجنبية وذلك هو رأي الأديب الكبير ميخائيل نعيمة حيث يقول في كتابه "**الغربال**" : " نحن في دور من رقينا الأدبي و الاجتماعي قد تنبهت فيه حاجات روحية كثيرة لم نكن نشعر بها من قبل احتكاكنا الحديث بالغرب، وليس عندنا الأقلام والأدمغة بما يفي بسد هذه الحاجات،فلنُترجم، ولنجل مقام المترجم لأنه واسطة تعارف بيننا وبين العائلة البشرية العظمى،ولأنه يكشف لنا أسرار عقول كبيرة، وقلوب كبيرة تستُرها عنا غوامض اللغة، يرفعنا من محيط صغير محدود، نتمرغ في خمأته إلى محيط نرى منه العالم الأوسع، فنعيش بأفكار هذا العالم وآماله وأفراحه وأحزانه، فلنُترجم".

فالترجمة عمل فكري يُداني التأليف ويُسايره ،وهو نشاط له حظه من الموهبة والإبداع ،فالترجمة تتسم بسمات شخصية صاحبها وثقافته ومهارته، وكما تبين ذلك بالأمس القديم فإن الترجمة من أنجح الوسائل لتوفير وتسهيل الاتصالات بين الشعوب وتوطيد العلاقات بين الدول وتعريف كل أمة بها الأمة الأخرى من كنوز الثقافة و الحضارة و العلم.

يُقال: رُب ضارة نافعة

و القول هذا ينطبق على حملة نابليون على مصر التي كانت وراء ربط ونسج العلاقات بين مصر والدول الغربية، فكانت هذه الاتصالات الثقافية عاملا من عوامل النهضة الأدبية في الشرق ولقد أصبح العالم العربي منذ بداية النهضة وبصفة مستمرة إلى يومنا هذا يعرف مرحلة مماثلة للتي عرفها الأجداد منذ القرن الثاني الهجري ،ولقد ارتكزت كل من المرحلة السابقة والمرحلة اللاحقة أي العصرية على أمرين أساسيين أولهما الإقبال على المعرفة طلبا وغاية،و ثانيهما اتخاذ الترجمة وسيلة لنقل المعارف التي أحرزت على التقدم لذى الشعوب.

فمنذ الحملة الفرنسية على مصر والمساعي الثقافية الأولى التي قام بها محمد علي بدأ الاتصال بالعالم الغربي في الشرق الأدنى، كيف لا وقد فُرض على البلاد الإسلامية احتياج إلى البلاد الغربية واللجوء إليها في كسب العلوم والمعارف، ثم كيف لا وقد أراد العرب اللحاق بركب الحضارة العالمية ، بات من الضروري أن يسترجع ما انقطع، و لا يتحقق ذلك إلا عن طريق العلم والتقدم الذي تنوعت أساليبه و اختلفت مناهجه بحيث تحتل فيه الترجمة مكانة الصدارة. وسرعان ما بدأ أثر ذلك واضحا عكسته التغيرات الطارئة على البلاد العربية وهو أثر بالغ في تقدم مصر ونهضتها العلمية.

أما عن سبب اختيار الموضوع فهو يندرج ضمن الأسباب الموضوعية ذلك أن مدى اهتمام العرب بالترجمة قديما تم الحديث عنه بكثرة في أمهات الكتب ،فمحاولتنا في هذا البحث هو معرفة مدى اهتمام العرب حديثا بالترجمة، وقد واجهتنا عدة إشكاليات في موضوعنا هذا أهمها:

-كيف انبعثت الترجمة في العصر الحديث؟ ومن ساهم في إحيائها؟

- ما هو واقع الترجمة في مصر والعالم العربي في العصر الحديث؟

و نظرا للموضوع الذي بين أيدينا التزمنا في هذه الدراسة بمنهجية تاريخية تحليلية مرده أن الترجمة موضوع تاريخي يجب دراستُه حسب كل عصر ،و حتى نبلغ ما نصبو إليه من أهداف أدبية مرموقة

كان لا بد من تقسيم هذا البحث إلى ثلاثة فصول مسبوقة بمدخل تحدثنا فيه عن ماهية الترجمة وشروطها ،وتاريخ الترجمة عند العرب، لنشرع في:

- **الفصل الأول:** بعنوان الحملة النابليونية و أبعادها اندرجت تحته ثلاث مباحث تتلخص في إبراز دور الحملة الفرنسية وأبعادها في إحياء النهضة العلمية من جديد وما لعبته الترجمة من دور فعال في ذلك.

- **الفصل الثاني:** فهو بعنوان الترجمة في عهد محمد علي و اندرجت تحته مبحثين نتناول في الأول الدور الفعال الذي قام به محمد علي في تشجيع الترجمة ، أما المبحث الثاني نتطرق بعد إلى أبرز المترجمين ذو الثقافة العربية لنأخذ رفاعة الطهطاوي أُنموذجا.

-**الفصل الثالث:** يحمل عنوان كلية الألسن والألسنيين و اندرجت تحته ثلاثة مباحث نتناول في الأولا مدرسة الألسن و قلم الترجمة و في الثاني كلية الألسن الحديثة لنبرز في المبحث الثالث دور الألسنيين والمشروع القومي للترجمة ،لنختمه بمبحث رابع نتناول فيه القانون العام للترجمة في مصر والعالم العربي.

و أنهينا البحث بخاتمة جاءت فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها.

أما عن الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث، فهي مشتركة بين جميع الباحثين و هي قلة المصادر التي تساعدنا في بحثنا سواءا من حيث التأليف أو من حيث توفرها في المكتبات، و يبقى أول مرجع رافق دربنا هو كتاب "تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية" للدكتور "جمال الدين الشيال"، وكتاب "تاريخ الترجمة العربية بين الشرق العربي و الغرب الأوروبي" للدكتور "محمد عوني عبد الرؤوف".

وفي الأخير لا ندعي أننا بلغنا كل ما سعينا إليه و لكننا نعتبر هذا العمل محاولة بسيطة، و سنكون سعداء أن نرى من يضيف إلى هذا الموضوع ما يزيد معرفتنا به، فإن كل اضافة جديدة تبهج النفس و تسر القلب.

نسأل الله الهداية و التوفيق

ماهية الترجمة:

أ– لغة: جاء في لسان العرب: "التَرجَمان والتُرجُمان" المفسر للسان وفي حديث هرقل: قال لترجمانه، الترجمان بالضم و الفتح: هو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة الى اخرى، و الجمع تراجم"[1].

وفي القاموس المحيط: "التُرجمان يساوي المفسر للسان"[2].

ومنه التُرجُمان و ثم نجد في "الصحاح في اللغة والعلوم" يُقال: "قد ترجم كلامه إذ فسره بلسان اخر، الجمع تراجم، ويقال تُرجُمان وتُرجمان الترجمة: النقل من لغة إلى أخرى".

وجاء في "معجم متن اللغة" :"ترجم كلامه أي بينه وأوضحه، وترجم الكتاب وترجم عنه، فسره بلسان آخر، والترجمان و الترجمان الناقل الكلام من لغة لأخرى،و المفسر للسان".

أما في "المنجد في اللغة و الأعلام": فنجد "ترجم الكلام: فسره بلسان آخر ،فهو تُرجُمان و الجمع تراجمَة و تراجمْ، ويُقال: ترجمه بالتركية أي نقله إلى اللسان التركي، وترجم عليه: أوضح أمره".

و الترجمة: "التفسير، وترجم الرجل: ذكر سيرته و الترجمة: ذكر سيرة شخص و أخلاقه ونسبه، وترجمة الكتاب: فاتحة"[3]

1- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر بيروت المجلد الثاني عشر، مادة:"الترجمة"، ط.6/1417هـ.1997م· ص 66.

2- القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز أبادي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت، الجزء الاوسط 1417هـ/1997م، مادة "ترجمان" ص1428.

3- المنجد في اللغة و الأعلام، دار المشرق بيروت، 2003م، ص60.

ب- اصطلاحا: الترجمة هي" شرح وتفسير ما يقوله ويكتبه الآخر، من لغة أخرى إلى لغة المتلقي أو المستمع"[1] ،أي بمعنى ترجمة لغة الأم إلى لغة أخرى وهي لغة الهدف وهي "في الأصل نقل الكلام من لغة إلى أخرى قصد إيضاح معنى الكلام وتبيين القصد منه"[2]، وهي "أيضا نقل الكلام المعبر عنه بلغة ما إلى لغة مطلوب فهم هذا الكلام بها سواءً كان هذا الكلام شفهيا أو مكتوبا"[3]. وتعتبر الترجمة" واحدة من الظواهر اللغوية التي تشملها عناية اللسانيات التطبيقية الحديثة ،وهي مهما تعددت التعريفات لا تخرج إجمالا عن كونها عملية تواصل تحصل بتحويل علامات لغة إلى علامات لغة ثانية، فهي تعني كل شكل من أشكال التوسيط بين طرفين أو أكثر يستعمل كل واحد منهما لغة تختلف عن لغة الطرف الآخر، وهي قناة وجسر في عملية التواصل بين مجموعتين لغويتين مختلفتين سواءً كان تخاطبا أم تراسلا"4.

ونجد دوما أنه لابد في الترجمة من عنصرين أساسيين أو بالأحرى نوعين من النصوص: النص الأصل والنص الهدف، فاللغة التي يكتب بها النص الأصل تسمى اللغة الأصل، واللغة التي ينقلون إليها النص الأصل تدعى لغة الترجمة، واستنادا إلى كل ما سبق نستنتج" أن الترجمة هي عملية تحويل إنتاج كلامي في إحدى اللغات إلى إنتاج كلامي إلى لغة أخرى مع

1-الترجمة في خدمة الثقافة الجماهرية، سالم العيس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ط، 1999م ص .06

2-الترجمة و التأويل، بريهمات عيسى، المجلة الجامعية، المركز الجامعي الأغواط العدد 1، 2003م، المجلد 3، ص .67

3-المرجع نفسه، 3، ص 67.

4-حول واقع الترجمة و ثقافة المترجم، د. شعيب مقنونيف، مجلة المصطلح، العدد 1، 2002م، ص 191-192.

المحافظة على المضمون الثابت أي المعنى"[1]، ويمكن أ نوزع عملية الترجمة على مرحلتين أساسيتين: مرحلة التحليل ثم مرحلة التركيب. "يتلخص جوهر المرحلة الأولى في فهم المترجم للنص الأصلي، ويتلخص جوهر المرحلة الثانية في التعبير عن المعنى نفسه بوسائل لغة أخرى"[2].

إذ يقول شحاذة الخوري في سياق حديثه عن الترجمة:" ليست عودة إلى التراث بل هي إضافة إليه، و ليست عطاءًا من الذات بل أخذ من الغير، إنها ليست انغلاقا على الماضي أو الذات بل انفتاح على الجديد لدى الآخرين"[3].

و أخيرا لابد من الإشارة إلى أن هذه التعريفات التي سقناها لا تخرج عن كونها مقاربات فقط، و يرجع ذلك لسبب بسيط ومعقد في آنٍ واحد، وهو أن الموضوع- الترجمة- لازال محل جدل بين المنظرين والمترجمين من جهة، والقراء و المتذوقين من جهة ثانية، فلا يمكننا بأي حال من الأحوال وضع أيدينا على تعريف اصطلاحي متفق عليه من لدن أهل الاختصاص و الممارسة الكافية.

1- علم الترجمة النظري، أسعد مظفر الدين الحكيم، دار طلاس دمشق، ط 1، 1989م، ص 39.

2- المرجع نفسه ص .202

3-دراسات في الترجمة و المصطلح و التعريب، شحاذة الخوري، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، سوريا، ط1، 1989م، ص .65

شروط الترجمة:

ثمة شرط هو سر النجاح في الترجمة،باعتبارها إنتاجا فكريا يداني التأليف ويقارب الإبداع ألا وهو الرغبة الشخصية في ممارسة الترجمة فلا يأديها المترجم وجُلاً أو خجولا أو مرغما، بل ينصرف إليها مختارا مسرورا راضيا فيسهل عليه عسيرها وينقاد له جُموحها[1].

كما يزيد بعض الدارسين على الشروط السابقة الذكر شروطا لا تقل أهمية منها "خفة الروح وحضور البال واتساع مجاري الخيال،مع القدرة على السبك والحبك والتعبير الفصيح السليم، والمطالعة المستمرة والمران الذي لا يعرف الكلل ولا الملل"[2].

ويركز الجاحظ على ثقافة المترجم ويعتبرها من أهم شروط الترجمة، فالمترجم يشغل مكانة ذات حساسية عظمى في عمله إذ يعتبره "وسيطا لغويا وثقافيا يضطلع بمهام التلقي، التفسير، التأويل والنقل بكفاءة علمية من لغة المصدر إلى لغة الهدف"[3].

و تتلخص شروط الترجمة في النقاط التالية:

- التحكم في اللغة و في تراكيبها تحكماً جيدا.
- معرفة اللغتين اللغة المنقول منها و اللغة المنقول اليها أي البراعة في اللغتين.
- الإلمام الكافي بالموضوع المراد ترجمته.
- الإلمام بعلوم البلاغة و علم الدلالة.

1- دراسات في الترجمة و المصطلح و التعريب، شحاذة الخوري، ص 64-65.

2- علم الترجمة النظري، أسعد مظفر الدين الحكيم، ص 181.

3- الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، ط2، 1966م، ص19.

- على المترجم ان يتمتع بثقافة عامة.

و بذلك يجب على المترجم عند فهم النص الأصلي نقل المعنى نفسه الموجود في ذلك النص، أي تأمين أكبر قدر من التكافؤ بين النص الأصلي و النص المترجم.

تاريخ الترجمة عند العرب:

إنّ أول حركة واسعة و منظمة للترجمة العلمية الثقافية بين الأمم و لغاتها إنما هي الحركة التي بادر العرب إلى القيام بها في عهد الدولة الأموية ، ثم تتابعت بقوة أكبر في العصر العباسي.

1- العهد الأموي:

بدأت الترجمة في عصر بني أمية، إلا أن الأمويين كانوا مشغولين آنذاك بالفتوح و توطيد أركان الدولة فلم تتح للترجمة أن يتسع أفقها، و مع ذلك فقد خطت في أيامهم أولى خطواتها.

إن أكثر الكتب التي ترجمت في هذا العهد إنما دعا إلى ترجمتها الأمير الأموي خالد ابن يزيد ابن معاوية (85هـ) و كانت الكتب التي ترجمت لخالد ابن يزيد تتعلق بالكيمياء، لأن خالدا كان يعتقد بإمكان تحويل المعادن إلى ذهب و ممن نقل له اصطفن القديم مترجم كتب الصنعة. ومن أشهر المترجمين في العصر الأموي يعقوب الرهاوي الذي ترجم كثيرا من كتب الإلهيات اليونانية إلى العربية.

2- العهد العباسي:

أما في زمن بني العباس فقد ازدهرت الترجمة ازدهارا عظيما للسببين التاليين:

*لم يكن العرب قبل عهد العباسيين يهتمون كثيرا بالفلسفة و العلوم لانشغالهم بالفتوح و توطيد دعائم الحكم، و قرب عهدهم بالتحضّر، فلما وجدوا الحضارة لا تقوم إلا على العلم مالوا إليه و جدّوا في الترجمة[1].

1- دراسات في الترجمة و المصطلح و التعريب، شحاذة الخوري، ص22-23.

* كثر الجدل في عصر بني العباس بين أصحاب الفرق من المسلمين و بينهم و بين أصحاب الأديان الأخرى مما حدا بهم إلى ترجمة الفلسفة اليونانية بعامة و منطق أرسطو بخاصة، لاتخاذها وسيلة إلى دعم الرأي و إسناد الحجة.

هذا و ينقسم عهد الترجمة في زمن العباسيين إلى دورين رئيسيين أحدهما يمتد من قيام الدولة العباسية إلى بداية عهد المأمون(132هـ-198هـ) و ثانيها يبدأ بتولي المأمون الحكم و يمتد طيلة عهده و يستمر بعد ذلك على وهن و ضعف.

أ- الدور الأول ما قبل عهد المأمون:

كان الخليفة المنصور[1] شغوفا بالطب و الهندسة و الفلك و النجوم، وهو أول من راسل ملك الروم طالبا منه كتب الحكمة فبعث إليه بكتاب اقليدس و بعض كتب الطبيعيات و جمع حوله صفوة مختارة من العلماء في مختلف نواحي المعرفة، و شجع على ترجمة العلوم و أنشأ ديوانا للترجمة، وقد نقل جرجيس ابن جبرائيل للخليفة المنصور كتبا كثيرة من كتب اليونان، و كان قد استقدمه من مدرسة جندي سابور الذي كان رئيسا للأطباء فيها فغدا طبيبه الخاص.

و اهتم هارون الرشيد[2] بترجمة الكتب، ووسّع ديوان الترجمة الذي أنشأه المنصور لنقل و طلب من البيزنطيين بعد احتلاله عمورية تسليمه المخطوطات الإغريقية القديمة، و أشهر الكتب التي ترجمت في هذا الدور كتاب المجسطي لبطليموس، و معنى المجسطي الترتيب الكبير في علم الفلك[3].

1- المنصور: أبو جعفر عبد الله بن محمد. ت 158هـ.

2- الرشيد: هارون ابن محمد بن عبد الله. ت 193هـ.

3- دراسات في الترجمة و المصطلح و التعريب، شحاذة الخوري، ص23-24.

ب- الدور الثاني(عهد المأمون و ما بعده):

عندما تولى المأمون[1] الخلافة عام (198هـ /813م) اهتم بالترجمة والتأليف و لاسيما كتب الفلسفة، و أشهر الكتب التي ترجمت في هذا الدور كتاب الحكم الذهبية لفيثاغورس و كتاب المجسطي الذي ترجم ثانية. و كتب عديدة لأبقراط و جالينوس و كتاب السياسة المدنية المدعو الجمهورية و كتاب النواميس لأفلاطون، ثم عرف العرب أرسطو و أكثروا من ترجمة كتبه و صار عندهم المعلم الأول.

و لعل ما يميز حركة الترجمة في هذا العهد ان المأمون قد نظمها و جعلها نشاطا رسميا، و صرف من أجلها الأموال الوافرة و ذكر أنه كان معجبا بحنين ابن اسحاق إعجابا جعله يعطيه من الذهب زينته ما ينقله من كتب عربية مثلا بمثل.

و قد اقتدى بالمأمون في ذلك العهد و بعده كثير من أهل الدولة و رجالها الأغنياء، فتقاطر على بلاد العباسيين المترجمون من كل حدب و صوب من أنحاء الجزيرة و العراق و الشام و فارس وفيهم النسا طرة و اليعاقبة من السريان و الصابئة والروم يترجمون من اليونانية والسريانية و السنسكريتية و النبطية الى العربية[2] .

وفي هذا يقول توماس ازتولد:" يعتبر القرن التاسع ميلادي/ الثالث هجري من أعظم العصور حيوية في أعمال الترجمة، و كان النقلة في الغالب من النسا طرة، المسيحيين ومن لهم التصلب في اللغات الإغريقية و السريانية و العربية و في الغالب الفارسية أيضا، و أن هؤلاء النقلة كانوا ينقلون في أول أمرهم إلى السريانية" [3].

1- المأمون: عبد الله بن هارون الرشيد. ت 218هـ.

2- دراسات في الترجمة و المصطلح و التعريب، شحاذة الخوري، ص .25

3- حضارة العرب في العصر العباسي، حسين الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت، ط1، 1414هـ/1994م، ص50.

وقد صار اقتناء المخطوطات و ترجمتها إلى العربية هواية الأمراء و الوزراء و سرات القوم وموضع الفخر و الاعتزال، وقد أرسل هؤلاء البعثات لتحصيل الكتب من بلاد الإغريق و آسيا الصغرى و بذلوا لأجل ذلك المال الوافر، و من أشهرهم الفتح ابن خاقان و محمد ابن عبد المالك ابن الزيات الوزيران في بلاط بني العباس.

شملت حركة الترجمة في القرنين الثاني و الثالث هجري شتّى العلوم و المعارف كالرضيات و الفلك و الفلسفة و المنطق و الطب و الكيمياء و الهندسة و السياسة المدنية، أما الأدب فلم يترجموا منه إلا القليل مثل كتاب(كليلة و دمنة) و لم ينقلوا الأدب اليوناني لمخالطته الأساطير الدينية من جهة و لاعتزازهم لأدبهم شعره و نثره من جهة أخرى[1].

إذ يقول عنها شحاذة الخوري:" فكانت اعظم فترة ترجمة من لغة الى لغة عرفتها الإنسانية"[2].

إلا أنه عندما تتالت الأحداث على العرب و انتابتهم عوامل الضعف، فطمع بهم الخصوم و الأعداء و تتالت عليهم الفتن و الحروب و تسلط الأعاجم على مقاليد الحكم، فخبا النور الذي سطع قرونا و عمت الحياة العامة و منها الجانب الفكري الثقافي مظاهر الخمول و الركود، واستفاقت أوروبا مما كانت تتخبط فيه من جهل و استسلام للخرافة و تأثير اتصالها بالعرب فأخذت تنهل من معين الثقافة العربية التي استفادت من الترجمة، و كانت هذه الحركة نشيطة شاملة منحت الغرب القدرة على إدراك العرب و علومهم التي طالما اعجبوا بها، و نقلها إلى اللاتينية فكانت اللبنة الأساسية في نهضته الحديثة التي لازالت حتى اليوم[3].

1- دراسات في الترجمة و المصطلح و التعريب، شحادة الخوري، ص 55.

2- أثر ازدهار حركة الترجمة على النهضة العلمية في بغداد في عهد الدولة العباسية، أحمد محمد اسماعيل، مركز الاسكندرية، 2009م، ص65.

3- المرجع السابق، ص 55.

و قد كان للمستشرقين دورا بارزا في إذكاء روح الترجمة و إقامة العلاقات بين الشرق و الغرب من خلال الحروب الصليبية(1096م-1184م) و الطرق التجارية عبر صقيلية، و الفتح الإسلامي للأندلس (92هـ-897هـ)، و امتداد الدولة العثمانية(1280م-1922م)، ففي زمن الحروب الصليبية عرفت أكبر حركة ترجمة في التاريخ على امتداد قرنين من الزمن، نقل بواسطتها معظم التراث و أمهات الكتب، مما أتاح للثقافة العربية أن تدخل من باب حضارة الغرب، و تترك أثرا بارزا مما أسهم في رفع المكانة الثقافية و العلمية و الحضارية للغرب[1].

و مرة ثانية بعد حلكة ظلام بزغت في الأفق ومضات في مطلع القرن الماضي، فقد تنبه العرب إثر حملة نابليون بونبارت على مصر أن العلم هو مصدر قوة، و أن أوروبا قد امتلكت القوة المادية بفضل نقل العلوم و قرّ في آذانهم أن من واجبهم استئناف ما انقطع و معاودة السير في طريق التقدم العلمي[2].

و كانت بوادر ظهورها نهضة علمية ثقافية تلقائية تظهر في مصر في أواخر القرن الثامن عشر، و لم تتأثر بأي مؤثر شرقي أو غربي و قد بدت واضحة في ظهور مجموعة من رجال الفكر المصريين و كان من الممكن أن تتطور هذه النهضة تطورا طبيعيا إلا أن مجيئ الحملة الفرنسية إلى مصر أصاب هذه النهضة العلمية بالانقطاع أو الانفصال الوقتي. فقد جلبت هذه الحملة معها عددا من العلماء الفرنسيين ، فكانت بذلك تحمل معها مظاهر نهضة علمية مختلفة تمام الاختلاف عن مظاهر النهضة المصرية، فقام نفر من العلماء المصريين بزيارة المعهد و المطبعة التي أنشأها العلماء الفرنسيين و بهرهم ما رأوه و بدأوا يفكرون و يقارنون بين ما في أيديهم من علم

1- بدايات اهتمام الغرب بالمشرق العربي، مصطفى نجيب فواز، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1997م، ص 164.

2- دراسات في الترجمة و المصطلح و التعريب، شحاذة الخوري، ص 103.

وما في أيدي هؤلاء الفرنسيين من علم، و مع جلاء الحملة عن مصر و تنصيب محمد علي واليا على مصر و ادرك النظام الجديد أنه لابد من النقل عن الغرب حتى تساير مصر العالم ، فقام محمد علي بإرسال البعثات إلى أوروبا ووقفت حركة التأليف مؤقتا لتبدأ حركة جديدة و هي حركة الترجمة، و توجه الجهود كلها إلى الترجمة فكانت معظم الكتب التي ترجمت كتبا علمية و حربية لخدمة المؤسسات الحديثة في الجيش و المدارس و الدواوين، إلى أن فتحت مدرسة الألسن، و بدأ رفاعة الطهطاوي يضع مشروعه لترجمة عدد من الكتب لتغطية تاريخ العالم ،فإن أثر الترجمة في البداية كان محدودا و ذلك بترجمة الكتب التاريخية فقط، ثم اتجهت بعد ذلك إلى ترجمة الكتب العلمية أو الطبية أو الحربية ، أما فيما يخص ترجمة الكتب المتعلقة بالعلوم الإنسانية من تاريخ و جغرافيا و منطق التي قام بترجمتها رفاعة الطهطاوي و تلاميذه في مدرسة الألسن كانت أقوى أثرا في المجتمع المصري وفي أوساط المثقفين، فقد ظل المثقفون من المصريين يقبلون على قراءتها طوال القرن التاسع عشر و شطرا من القرن العشرين[1].

1- التاريخ و المؤرخون في مصر، جمال الدين الشيال، مكتبة النهضة المصرية، ط1، ص 195-231، (بتصرف).

الفصل الأول

العملة البابلونية

وأبعادها

كان الوضع السائد في مصر و الأقطار العربية في حالة يرثى لها لما انتشر من جهل و فساد، و لِمَا كانت تعانيه الثقافة من تدهور و سقم رهيبين و التدهور هذا دام ردحاً من الزمان ليس بالقصير، ثم أقبل القرن التاسع عشر فورث ما كان في الأزمنة السابقة له من تخلف في شتى مرافق الحياة، انحطاط الذوق و فساده و اتسام الأدب بالضعف و الابتذال لشيوع العامية و عدم الاهتمام باللغة العربية لتحل محلها اللغات الدخيلة كالتركية و الإنجليزية.

أما اللغة العربية فقد كانت في حالة ضعف و وهن و مزج بينهما و بين اللغة التركية التي ضلت لغة الدواوين الرسمية إلى أن مضى منتصف القرن التاسع عشر الذي أولى بركاكتها و اضطرابها و هوانها، و كذا غياب الأساليب الفصيحة في الشعر و النثر، و الأمر الذي زاد في اضمحلال اللغة الصنادية على إثر احتلال الإنجليز لمصر أنه تم تحويل لغة التعليم من العربية إلى إحدى اللغتين الإنجليزية أو الفرنسية، و بالتالي أصيب الفكر العربي قبيل النهضة و في بدايتها بعقم خطير حال دون الإبداع القيم، "فالعربية قبيل النهضة كانت مكبلة مجمدة، فلما أخذت تنهل من آثار الغرب استوت روحها و استعادت دفأها و دبت فيها الحياة فتلونت بألوان العافية".[1]

لكن – و حتى لا نسبق الأحداث– لنرجع إلى حدث سياسي عسكري حضاري ذا خطر فائق قل ما يحدث، ألا و هو غزوة نابليون بونابرت لمصر و الذي امتد من سنة (1798م/ 1213هـ) إلى سنة (1801م/ 1216هـ) و هي الفترة التي شهدت مكوث الفرنسيين بالديار المصرية.

[1] حركة الترجمة في عصر النهضة، لطيف زيتوني، دار النهار بيروت، 1994م، ص 187.

لقد كان لخطة فرنسا و قائدها الفذ من خلال الغزو مطامع سياسية و اقتصادية موجهة ضد مطامع إنجلترا، مهد لها نابليون بالإصلاح الاجتماعي و التثقيف الفكري حتى يُحقق مآرب سياسية و من أجل هذه الغاية اصطحب نابليون معه زمرة متشكلة من حوالي خمسين من العلماء المتخصصين من مؤرخين و مهندسين و رياضيين و فلكيين و أطباء و كيميائيين و رسامين و غيرهم.

و في غضون هذه الإجراءات العلمية دائما، أبدى الفرنسيون برعاية بونابرت اهتمامات جادة تخص دراسة المنطقة من زوايا مختلفة كالنباتات و الجيولوجيا و الحياة و المياه و غير ذلك، و الذي لا يخلوا من الغرابة هو ذلك البعد الخطير الذي خلفته الحملة في حياة الشرق الأوسط على الرغم من قصر مدتها. يقول جودة الركابي في هذا المضمار : "لقد كانت حملة نابليون هزة عنيفة لمصر أيقظتها من سباتها العميق"[1].

و تشكل الترجمة عنصرا أساسيا لدى المهتمين بعصر النهضة و علاقاته بالغرب لأن أثرها العظيم في الحياة الثقافية بيّن جلي و لأن بواعثها كما يحصرها لطيف زيتوني تعد ثلاثة: "الحاجة إلى ذلك ثم الذوق أو المتعة ثم الثقافة"[2].

و قد اجتازت الترجمة في القرن التاسع شوطين رئيسيين، راحت عناية أولهما إلى ترجمة العلوم و الصناعات في مختلف أصنافها، في حين تمثل الشوط الثاني في نقل الآداب و الفنون و الفلسفة وعلوم

[1] حركة الترجمة في عصر النهضة لطيف زيتوني، ص 47.

[2] المرجع نفسه، ص 48.

التربية، و في كلا الشوطين اتضح دور حركة الترجمة "في نقل العلم و توسيع المعارف و تطوير الآداب و إيقاظ الوعي و تحرير الفكر و تعميم الفنون"[1]. و لم يكمن هذا حال مصر فقط فكما يقول لطيف زيتوني:"من المعروف أن الأمة العربية من أقدم الأمم التي أقامت أمورها الثقافية على الترجمة"[2].

[1] حركة الترجمة في عصر النهضة، لطيف زيتوني، ص7.

[2] كتب و مؤلفون، طه حسين، دار العلم للملايين، بيروت، 1984م، ص 112.

المبحث الأول: اتصال العلماء المصريين بعلماء الحملة الفرنسية

ضلت الحملة الفرنسية سنوات ثلاث تناضل نضالا عنيفا، حتى عجزت فخضعت ثم خرجت، غير أن فريقا آخر من رجال الحملة نجح نجاحا مشكورا في مهمته التي ألقيت على عاتقه، فقد كان هؤلاء العلماء عاكفون على أبحاثهم و آلاتهم و كتبهم، يدرسون تربة مصر و نباتها و حيوانها و نيلها و معادنها، و طرقها و أسواقها، وصناعاتها و مجتمعاتها، وآثارها ثم يسجلون في دفاترهم نتائج أبحاثهم هذه كلها، لتكون الرصيد المختزن للمؤلف العظيم الذي يضعونه عن مصر بعد خروج الحملة، و هو كتاب وصف مصر"Description de l'Egypte".

و كان الناس في مصر يشاهدون هؤلاء الفرنسيين ينتقلون في القرى و المدن يقلبون أنضارهم في كل شيء و يُخضعون كلما يرون و يُشاهدون لبحثهم و آلاتهم و يسألون و يقيدون، فلفت أنضارهم هذا الفضول، و لكنهم لم يلبثوا أن انصرفوا عن هؤلاء الفضوليين، و جذبتهم شؤون حياتهم الخاصة. هكذا كان موقف عامة مصر من علماء الحملة، أما موقف علماء مصر فكان مغايرا لهذا، فقد اتصلت الأسباب بينهم و بين رجال الحملة بعد أن هدأت المعارك الأولى و أسفرت عن فرار المماليك الذين كانوا سُوط عذاب مشهر على المصريين منذ أمد طويل. و كون علماء الحملة مجمعهم، و أقاموا عُدتهم و آلاتهم، و أعدوا مكتبتهم، و توفروا على أبحاثهم و جذب هذا كله بعض المستنيرين من علماء مصر، كمؤرخ مصر وقت ذاك الشيخ "عبدالرحمن الجبرتي"[1].

1- تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية، د. جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1420هـ/2000م، ص 17-18.

و طاف الجبرتي بحجرات المجمع و أروقته، و وقف عند كل مشهد جديد، و لدى كل كتاب طريف مشدوها مفتوح الفم من الدهشة و العجب، و لم يسعه و هو المؤرخ الثقة، إلا أن يثبت وصف ما رأى في تاريخه معلنا دهشته و إعجابه و عجزه عن فهم هذه الآلات و العدد، فهو قد نشأ بالأزهر و تلقى فيه العلم، و النمط الذي كان يتبعه طلاب العلم في مصر وقتذاك ساذج بسيط و إن كان متعبا في نفس الوقت، و لم يكن الجبرتي العالم المصري الوحيد الذي اتصل بالفرنسيين و أُعجِب بعملهم بل اتصل بهم أيضا شاعر مصر وقتذاك السيد إسماعيل الخشاب، فأحدهما مؤرخ و الثاني شاعر و بين عالم ثالث جليل هو الشيخ حسن العطار.

أيقظت الحملة الفرنسية عقول بعض علماء مصر و خاصة عقول هؤلاء الأقطاب الثلاثة، و بهرتهم علوم الفرنسيين و أثرت في فن كل واحد منهم. فقد كانت كاتبة الجبرتي "في تاريخه بعد الحملة أدق و أكثر نقدا لسير الحوادث و رجالها مما كانت عليه قبيل الحملة"[1] كما أصبح شعر الخشاب أرق حاشية و أسلس أسلوبا، أما العطار فقد انحرف عن علماء عصره و ترك الدراسات الدينية و اللغوية جانبا، و عنى عناية كبيرة بالدراسات الأدبية و كون له في هذا الميدان مدرسة جديدة كان من تلاميذها الذين حذوا حذوه الشيوخ إبراهيم الدسوقي و محمد عياد الطنطاوي و محمد عمر التونسي و رفاعة رافع الطهطاوي، و سيكون لهذه النخبة الطيبة جهود محمودة في حياة الترجمة الحافلة في عصر محمد علي.

[1] تاريخ التعليم في عصر محمد علي، عزت عبد الكريم: 24.

و قد عاش العطار حتى ولي مشيخة الأزهر في عهد محمد علي، و شهد هذا التغير في الأحوال و المعارف الذي تنبأ به، و خطب في الاحتفال الذي عقده بمناسبة عقد الامتحانات الأولى لمدرسة الطب، و هو أخيرا صاحب الفضل على تلميذه رفاعة الطهطاوي زعيم النهضة العلمية الحديثة و هو الذي قدمه لمحمد علي ليكون إمام البعثة المصرية إلى فرنسا سنة 1826م، و هو الذي أشار عليه أن يُسجِّلَ مُشاهداته في هذه البعثة التي أخرجها رفاعة فيما بعد في كتابه الممتع "تلخيص الإبريز في تلخيص باريز".

بدأت إدن الثقافات الفرنسية و العربية تتصلان إحداهما بالأخرى و تؤثران إحداهما بالأخرى، و لو قُدر للحملة أن تطول مدتها لكان من المحتم أن يعمل كل فريق على نقل ثقافة الفريق الآخر إلى لغته، و خاصة أن علماء الحملة كان من بينهم عدد من المستشرقين و كانت مكتبتهم تضم كتبا عربية[1] و فرنسية كثيرة أحضروها معهم، و كانت مكتبات المساجد و الخاصة في مصر تضم بين جدرانها آلاف الكتب المخطوطة التي كانت تنتظر في صبر نافد من يفتحها ليقرأها و يعدها للنشر أو الترجمة، و كانت الحملة قد أحضرت معها عدة للنشر و آلته و هي "المطبعة العربية" أو "مطبعة جيش الشرق" أو "مطبعة الجيش البحري" كما كانت تسمى و هي في طريقها إلى مصر و كانت هذه المطبعة معدة بالحروف العربية و الفرنسية و اليونانية التي جمعها نابليون من باريس ثم استكمل لها الأحرف العربية الناقصة من مطبعة "البروباجندا" بروما. و قد بدأ القسم العربي من هذه المطبعة عمله

[1] ينظر تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية، د. جمال الدين الشيال، ص 32-33.

و هو على ظهر البَارجَةَ "أوريت Lorient " في عرض البحر فطبعت به نسخ من الترجمة العربية للمنشور الذي أعده نابليون لإذاعته على المصريين، و عندما نزل جنود الحملة الفرنسية إلى أرض مصر سميت مطبعتهم "بالمطبعة الشرقية" و "المطبعة الفرنسية" و أمر نابليون أن تنقل بأقسامها الثلاثة إلى منزل قنصل البندقية بالمدينة، و أن تُرَكب أجزاؤها و تكون مُعِدة للعمل في ثمان و أربعين ساعة، و أن تطبع أربعة آلاف نسخة أخرى من المنشور و لما استقر الفرنسيون في القاهرة نقلت هذه المطبعة إليها و سميت "المطبعة الأهلية" و "مطبعة الجمهور الفرنساوي" و كان مقرها الأول دار عثمان بك الأشقر بالأزبكية على مقربة من بيت الألفي حيث كان يسكن نابليون، و لما قامت ثورة القاهرة الثانية نقلت المطبعة إلى الجيزة، و منها نقلت مرة أخرى إلى القلعة وهي مقرها النهائي، فقد أخذها الفرنسيون معهم و هم يجلُون عن مصر و سنرى أن محمدا عليا سعى بعد ذلك إلى إنشاء مطبعة عربية أخرى في بولاق، و هي التي لا تزال موجودة حتى الآن و تاريخها في الواقع يأخذُ شطرا كبيرا من تاريخ النهضة العلمية الحديثة.[1]

[1] تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية، د. جمال الدين الشيال، ص 34.

المبحث الثاني: الترجمة الرسمية في عهد الحملة الفرنسية

و لكننا قد نتساءل بعد هذا ألم يكن للحملة على الرغم مما كان يكتنفها في الداخل و الخارج من اضطرابات و قلاقل أثر في الترجمة عن العربية إلى الفرنسية أو عن الفرنسية إلى العربية في هذه السنوات الثلاث التي قضتها في مصر إبان وجود الحملة.

و الحقيقة أننا نستطيع أن نجيب على هذا السؤال بأنه كان في مصر إبان وجود الحملة نوعان من الترجمة: الترجمة الرسمية و الترجمة العلمية، فالحملة من الناحية الرسمية كان لها أثر في هذا النقل، و كانت في أشد الحاجة إلى مترجمين دائمين ينقلون عنها الأوامر و يُترجمون المنشورات و يُسجلون محاضر الدواوين، و يكونون الوسطاء في نقل الحديث بين الحكام و المحكومين، و قد استعانت أول الأمر بأناس غرباء عن مصر أحضرتهم معها أول قدومها، و هم جماعة من أسرى البحارة المسلمين، و قد اشتركوا مع المستشرقين من علماء الحملة في ترجمة المنشور الذي أعده نابليون بالفرنسية و الذي طبع في المطبعة العربية ليكون مُعدا للتوزيع على المصريين وقت نزول الفرنسيين إلى مصر. و لما استقر الفرنسيون في القاهرة أخذوا يتبعون ما بقي فيها من عائلات المماليك و يهاجمون بيوتهم، و يستولون على أموالهم و كانوا في تنقلاتهم يصطحبون معهم المترجمين ليقوموا بنقل الحديث بينهم و بين زوجات الأمراء و أولادهم و خدمهم[1].

1- تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية، د. جمال الدين الشيال، ص 35-37(بتصرف).

و بدأ نابليون يضع الأسس لحكومة جديدة يشترك فيها زعماء المصريين ليستعين بهم في إدارة شؤون البلاد و إقناع الأهليين، و قد نص في الأمر الصادر بتكوين الديوان أن يكون أعضاؤه تسعة ينتخبون من بينهم واحدا للرئاسة، و أن يختاروا سكرتير "كاتم سر" من غير الأعضاء، و يعينوا اثنين من الكتبة و التراجمة يعرفان الفرنسية و العربية، و الجبرتي يتحدث عن بعض أعمال هذين المترجمين في ندوات متفرقة نستطيع أن نتبين منها أن "الترجمان" كان الناقل لأوامر الفرنسيين، و القارئ لأوامرهم و فرماناتهم في الديوان، و أنه كان يتضمن كلامه العربي كلمات فرنسية مما يدل على أن هذين المترجمين كانا من علماء الحملة الفرنسية العارفين باللغة العربية، و ذكر الجبرتي عند كلامه على تنظيم الديوان في عهد نابليون و تقسيمه إلى "خصوصي و ديموني" أسماء أعضاء الديوان ثم قال: "و معهم وكلاء و مباشرون من الفرنسيين و المترجمين". و لما عاد نابليون إلى فرنسا، وولي كليبر قيادة الحملة، فظل للترجمة الرسمية شأنها الأول، و للمترجمين مركزهم العام كوسطاء لنقل الحديث بين الحكام و المحكومين و ترجمة الأوامر و الفرمانات و الوثائق الرسمية، و كان الديوان قد عطل في عهد "كليبر" فلما ولى "مينو" قيادة الحملة أعاد تنظيمه على نسق جديد كما ذكرنا و عين له إلى جانب الأعضاء من المشايخ، كاتبا عربيا اسمه "الشيخ علي" و كاتبا يوميا اسمه "قاسم أفندي" و مترجما أول أو ترجمان كبير هو "القس روفائيل" و مترجما ثانيا هو "إلياس فجر الشامي"[1].

1- تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية، د. جمال الدين الشيال، ص 41-42 (بتصرف).

1- هيئات المترجمين الرسميين في عهد الحملة:

أ/ الأسرى الذين كانوا في جزيرة مالطة: من مغاربة و عرب و أتراك، و قد أطلق سراحهم رجال الحملة الفرنسية بعد استيلائهم على مالطة، و صحبوهم معهم إلى مصر و أطلقوهم في كل مكان يوزعون منشور نابليون بين المصريين، و قد قام واحد منهم بحمل رسالة المشايخ إلى نابليون بين المصريين و هو في الجزيرة، و لم تذكر الكتب المعاصرة اسم واحد من هؤلاء.

ب/ العارفون باللغة العربية من رجال الحملة الفرنسية: و أهم هؤلاء:

فانتور Venture -جوبير (1779- 1847)-براسرفيش -لُوماكا

و يبدوا أن هؤلاء الأقطاب الأربعة كادوا يكونون الهيئة العليا للترجمة الرسمية، فقد كانوا جميعا أعضاء في لجنة الترجمة بالمجمع العلمي و يشغل ثلاثة منها منصب كبير كمترجمين للحملة و اشترك الرابع في ترجمة الكثير من الوثائق الرسمية الهامة. و مع ذلك فقد كان هناك نفر آخرون من جنود الحملة و قادتها على علم بالعربية، فساهموا بقسط أقل في الترجمة الرسمية.

ج/ المترجمون السوريون: لما بدأ الفرنسيون ينضمون شؤون الحكم في مصر كان من بين أعضاء الديوان الذي أنشأه نابليون اثنان من السوريين هما: يوسف فرحات و ميخائيل كيحل[1].

1- تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية، د. جمال الدين الشيال، ص 43-46 (بتصرف).

و كان من الطبيعي أن يستعين الفرنسيون بمن في مصر من المسيحيين و خاصة السوريين لمعرفتهم باللغة العربية و باللغتين الفرنسية و الإيطالية و لاتفاق الطائفتين في اعتناق دين واحد.

و لما أعيد إنشاء الديوان في عهد الجنرال "مينو" عين له مترجمان سوريان القس رفائيل "ترجمان كبير" و إلياس فجر "ترجمان صغير" و لقد لعب الأب أنطون رفائيل زاخور راهبة دورا هاما في الترجمة الرسمية في عهد الحملة، غير أنه لعب دورا أهم في الترجمة العلمية في عهدي الحملة و محمد علي.

د/ المترجمون المصريون: قد يلجأ الباحث المفكر بعد ذكر هذه الطوائف إلى البحث و التنقيب عله يجد من بين المصريين من قام بالترجمة للفرنسيين و لكنه يجد أن حال المصريين التعليمية في ختام القرن الثامن عشر لم تكن تؤهل واحدا منهم للقيام بهذه المهمة كان أغلب المصريون من المسلمين، و أقلية من الأقباط و لم تكن مدارس الطائفتين و معاهدهما العلمية تعنى بتدريس اللغة الفرنسية أو أي لغة أخرى، كذلك باعد الخلاف الديني بين المسلمين من المصريين و بين الفرنسيين، فلم يحاول أحد من عامة مسلمي مصر و طلابهم الاتصال بالفرنسيين في هذه المدة اليسيرة اتصالا يسمح لهم بتعلم اللغة الفرنسية، كذلك لم يكن العلماء المسلمين الذين اتصلوا بالفرنسيين و أعجبوا بهم في السن التي تسمح لهم بتعلم و اكتساب لغة جديدة[1].

1- تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية، د. جمال الدين الشيال، ص 46-60 (بتصرف).

و يبدوا أن الفرنسيين اقنعوا أول مجيئهم إلى مصر طائفة من شبان الأقباط الذين تسمح لهم سنهم بتعلم اللغة الفرنسية و لم ينبغ من هؤلاء إلا "إليوس بقطر"، فقد كان سنه عند مجيء الفرنسيين 15 سنة فاتصل بهم و تتلمذ عليهم، و تعلم اللغة الفرنسية، و اشتغل بالترجمة لرجال الحملة.

هذه هي الطوائف التي قامت بالترجمة الرسمية في عهد الحملة و لم تكن إحداها على منبت باللغة العربية، و لهذا جاءت النصوص المترجمة ضعيفة ركيكة الأسلوب، أقرب إلى اللغة العامية منها إلى اللغة العربية، و إن نظرة واحدة إلى النصوص الفرنسية لوثائق الحملة و منشوراتها الواردة في مراسلات نابليون و كتب الحملة و إلى النصوص العربية لترجمة هذه الوثائق و الفرمانات مما حفظه "الجبرتي" و "نقولا الترك" في كتابيهما لتؤيد هذا الرأي، بل لقد أبدى الجبرتي رأيه في ضعف الترجمة في أكثر من موضع، فقد ذكر عند كلامه عن إنشاء الديوان في عهد "نابليون" أن الفرنسيين وضعوا لهذا الديوان قواعد و شروط كتبوها "بتعبيرات سخيفة يفهم بها المراد بعد التأمل الكثير لعدم معرفتهم بقوانين التراكيب العربية".[1]

[1] - تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية، د. جمال الدين الشيال، ص 63- 122(بتصرف).

المبحث الثالث: الترجمة العلمية في عهد الحملة الفرنسية

أما الترجمة العلمية فقد بدأ بها المستشرقون من علماء الحملة يساعدهم نفر من المترجمين السوريين، و إن كانت القلاقل السياسية التي انتهت بإخراج الحملة من مصر لم تمكنهم من الاستمرار في أداء هذا الواجب، و قد أسس نابليون المجمع العلمي المصري أو "مدرسة العلماء في بر مصر" كما يسميه مستشرقوا الحملة المختصين في دراسة نواحي العلم المختلفة، فكان بينهم المتوفون لدراسة الرياضة و الهندسة و الفلك و الميكانيكا و طبقات الأرض، و المعادن و الطب و الجغرافيا و الآثار و الأدب و الفنون ... إلخ، و يهمنا أن نذكر أنه كان من بينهم المختصون في:

1/الترجمة 2/الطباعة العربية و الفرنسية

فكانت لجنة الترجمة تتكون من فانتور Venture، ماجالون Magallon، لوماكا L'homaca و يتضح من القائمة السابقة التي تضم أعضاء لجنتي الترجمة و الطباعة أن كثير من هؤلاء الأعضاء قد شاركوا في نوعي الترجمة الرسمية و العلمية، غير أنه يبدوا أن عبء الترجمة العلمية في جملته كان يحمله و يقوم به عضوان من أعضاء المجمع أحدهما مستشرق فرنسي كبير هو "جان يوسف مارشال" و الثاني سوري مسيحي هو الأب "أنطون رفاييل راهبة". و هو العضو الشرقي الوحيد بمجمع نابليون[1].

1- تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية، د. جمال الدين الشيال، ص 65-70(بتصرف).

و لاشك أن رفاييل قد قام بنصيب كبير من أعمال المجمع عند إعداد كثير من الأبحاث و ترجمة الكثير من الوثائق التي كان يجمعها علماء المجمع ليصنفوا منها كتاب وصف مصر، و ليضعوا على ضوئها النظم الجديدة السريعة لإدارة البلاد و حكم الشعب الجديد، كذلك يبدوا أن رجال الحكومة الفرنسية قد عهدوا إلى رفائيل بترجمة الكثير من المراسيم و الفرمانات و القوانين الصادرة منهم إلى الشعب المصري، و يقول الأستاذ باشتالي إن كثيرا من هذه الوثائق التي تكون Fonds Marcel المحفوظة في المجمع المصري الجديد لا تحمل أي توقيع، و لكن أي مقارنة بسيطة بين بعض نصوص هذه الوثائق و بين ما ورد في مخطوطة رفاييل التي في حوزته تدل يقينا على أن هذه الوثائق هي من وضع أو ترجمة رفاييل، و أول هذه الوثائق الترجمة العربية لمرسوم خاص بجمرك السويس صدر في نوفمبر 1798م، و ثانيهما ترجمة في 30 ديسمبر 1898م، كذلك لم تشغل الترجمة الرسمية في العهد الأخير لرفاييل تماما عن الترجمة العلمية فقد قام في (يناير 1800م) بترجمة رسالة طبية صغيرة ألقاها "ديجينيت" كبير و قد طبعت هذه الرسالة مرتين في مطبعة الحملة، هذه هي الطوائف التي شاركت في الترجمة الرسمية و العلمية في مصر في عهد الحملة الفرنسية (1798م، 1801م) و إنا لنرجح أنه إذا كان قد قدر للحملة أن يطول عمرها في مصر لنشطت هذه الحركة و أثمرت و أتت أكلها، غير أنها انقطعت بعد خروج الحملة فترة ما، على أن تبدأ حياة جديدة أكثر نشاطا و أوفر إنتاجا في عهد العاهل العظيم محمد علي، و سنرى أن الفرنسيين و منهم بقية من علماء الحملة هم الذين سيوجهون الحياة العلمية كلها- لا حركة الترجمة فقط- في ذلك العهد.[1]

[1] تاريخ الترجمة الفرنسية في عهد الحملة الفرنسية، د. جمال الدين الشيال، ص 73-81 (بتصرف).

الفصل الثاني

الترجمة

في عهد محمد علي

المبحث الأول: لمحة عن الترجمة في عهد محمد علي

يقول رائد الترجمة الأول رفاعة الطهطاوي عن محمد علي:" فلو لم يكن للمرحوم محمد علي من المحاسن إلا تجديد المخالطات المصرية مع الدول الأجنبية بعد أن ضعفت الأمة المصرية بانقطاعها المدد المديدة و السنين العديدة لكفاه ذلك، فقد أذهب عنها داء الوحشة و الانفراد، و اكتساب السبق في ميدان التقدمية فما أحسن بنتيجة الدواء الشافي، و العلاج المعافي إلا في هذه الأيام الأخيرة".[1]

يرجع بدأ الاهتمام بالترجمة في مصر إلى نهاية القرن الثامن عشر مع قدوم الحملة الفرنسية إلى مصر 1798م و إن البداية الحقيقية لحركة الترجمة في مصر مع العصر الحديث ترجع إلى عهد محمد علي (1769م-1849م) و كان واليا على مصر (1805م-1849م) و هي تعتبر أكبر نهضة للترجمة بعد حركتها أيام المأمون و المتوكل و حركتها في الأندلس، و لعل السبب في اتجاه محمد علي للعناية بالترجمة هو رغبته في الاستغناء عن الموظفين الأجانب الذين اضطر إلى استخدامهم في حكومته، لعدم وجود المصريين الذين يستطيعون أن يتفهموا رغبته في الاصلاح، و يقدروا حالة البلد، و يعرف ماهي نواحي الاصلاح التي يجب نقلها عن الغرب.

1- مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية، رفاعة الطهطاوي، دراسة و تحقيق محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر بيروت، ط1 1973م، ص 141-142.

فكان لابد من أن ينقل إلى العربية أو التركية علوم الغرب و نظمه، و كل ما يلزمه لبناء دولته، فعمد بذلك إلى الكثير من الأجانب في مصر، و لكنهم كانوا متكاسلين في أداء ما يعهد إليهم بترجمته، و على الرغم من ذلك فقد ترجمت كتب كثيرة في مختلف العلوم و الفنون، ثم عمد محمد علي إلى ارسال أبناء مصر إلى أوروبا، ليتخصص كلا منهم في علم أو فن من الفنون، فإذا ما أتقنوا دراسة ما أرسلوا من أجله عادوا إلى وطنهم، ليحلوا محل الأجانب في تخصصهم، و ليعلموا أبناء مصر ما تعلموه، و ليقوموا بترجمة الكتب في الفن الذي درسوه[1]، فكان لابد "من نقل تلك العلوم التي تعلمها رجال البعثات في أوروبا ليستطيع أهل البلاد دراستها بلغتهم"[2].

إن محمد علي لم يكن ليوليهم الأعمال المختلفة إلا حين يثق في مهارتهم و قدرتهم على ترجمة كتاب في تخصصهم، أو يجربهم فيما درسوه من علوم، حتى إذا أظهروا مهارة و كفاية استغنى عن خدمات الأجانب، و أحل محلهم أهل البلاد في وظائفهم[3].

1- تاريخ الترجمة العربية بين الشرق العربي و الغرب الأوروبي، د. محمد عوني عبد الرؤوف، مكتبة الآداب القاهرة، ط1 1429هـ/2008م، ص 247.

2- الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، جودة الركابي، دار الفكر ط1، دمشق، 1974م، ص 288.

3- المرجع السابق، ص 248.

و بهذا ترجم الكثير من الكتب في مختلف الفنون في عهده، قام بترجمتها أعضاء البعثات العائدون من مختلف بلدان أوروبا، بل إنه لفرط حرصه على الترجمة و على كثرة عدد الكتب المترجمة إلى العربية في أقصر وقت كان يقدم الكتب المراد ترجمتها لأعضاء البعوث العائدون، ثم يحتجزهم في مكان خاص لا يغادرونه إلا إذا أتموا ترجمة ما عهد إليهم من كتب.[1]

استعان محمد علي أول الأمر بالإيطاليين لوجود علاقات تجارية بين مصر و جمهوريات إيطاليا طوال العصور الوسطى، كما كان للإيطاليين جاليات كثيرة في ثغور مصر و الشام، كذلك كانت اللغة الإيطالية أكثر اللغات الأجنبية شيوعا، و كان الكثير منهم يعرف العربية لذلك كانت أولى بعثات محمد علي سنة 1809م و الثانية أيضا سنة 1813م إلى إيطاليا ومدنها المختلفة و ذلك لدراسة فن سبك الحروف و الطباعة، و منها استقدم المعلمين و الضباط المدربين للجيش، كما اشترى آلات الطباعة و الكتب التي أراد ترجمتها، ثم ما لبثت مصر أن تحولت من النقل عن الثقافة الإيطالية إلى النقل عن الفرنسية، إذ أن الإيطاليين الذين كان محمد يستخدمهم لم يكونوا دائما من خيرة الناس، كما إن مركز فرنسا الدولي الممتاز جعل محمد علي يتجه إليها و يشيح بوجهه عن الإيطاليين.[2]

1- تاريخ الترجمة و الحركة الثقافية في عهد محمد علي، دار الفكر العربي، القاهرة 1951م، ص 33-34.

2- تاريخ الترجمة العربية بين الشرق العربي و الغرب الأوروبي، د. محمد عوني عبد الرؤوف، ص 249.

و حينما أنشأ محمد علي مدرسة الطب سنة 1245هـ/1827م عانى المدرسون فيها، و بخاصة كلوت بك من صعوبات كثيرة أهمها اللغة، إذ انهم كانوا فرنسيين أو إيطاليين في الغالب، و كان الطلاب لا يعرفون إلا العربية. فعين كلوت بك الكثير من المترجمين لينقلوا الدروس عن الأساتذة إلى الطلاب في حضرتهم، ليتأكد من حسن فهم المترجم، كان الأستاذ يطلب منه أن يعيد ما ترجم باللغة الفرنسية أو الإيطالية[1]. و حينما وجه النقد إلى هذه الطريقة في جريدة أزمير في أحد أعداد سنة 1838م ردت هيئة التدريس في المدرسة ردا جاء فيه:" نحن لا نشارككم فيما ذهبتم إليه من ضرورة تمكن الشخص المنوط به أمر الوساطة بين الأستاذ و التلاميذ من العلم الذي يلقيه الأستاذ، و يقوم هو بنقله إلى اللغة العربية، فإنه يكفي — فيما نراه- أن يكون هذا الناقل حسن الإلمام باللغتين، و من الكفاءة بحيث يفهم الدروس التي يفسرها الأستاذ له، تم النقل على الصفة المتقدمة، أي بطريق الرواية عن الأستاذ، أن يراقب صحة ما ألقاه الوسيط في حضرته بتكليفه إياه أن يترجم إلى الفرنسية ما كان قد عربه عنها و بهذا يتأكد الأستاذ أن الدرس الذي ألقاه قد نقل نقلا دقيقا و روعيت فيه الأمانة العامة".[2]

1- تاريخ الترجمة العربية بين الشرق العربي و الغرب الأوروبي، د. محمد عوني عبد الرؤوف، ص 249.

2- لمحة عامة عن مصر، كلوت بك، ط2، ص 247-248.

و لكن محمد علي سرعان ما أحس بفساد هذه الطريقة، فأمر بأن يتعلم الأطباء اللغة العربية تمهيدا للاستغناء عن المترجمين و لكنهم رفضوا ذلك، إلا أن كلود بك بدأ خطوة أخرى كلف هيئة المترجمين في المدرسة بترجمة الكتب الطبية إلى العربية، و اشترك المترجمون في هذا العمل فترجموا أول ما ترجموه كتابا طبيا بعنوان "القول الصريح بعلم التشريح" من تأليف بايلBayle مع اضافات كلوت بك، و قام بترجمة الكتاب يوحنا عنجوري، فطبع سنة 1248هـ/1832م كما عنيت مدرسة الطب بعض المحررين و المصححين من شيوخ الأزهر لعدم اتقان هؤلاء المترجمين للغة العربية، فأفادهم المشايخ بالمصطلحات الطبية الصحيحة التي كانوا على دراية بها من كتب العرب القديمة، كما استطاعوا تقويم أسلوب الترجمة العربي، و تصحيحه و البعد به عن الركاكة و العجمة و في مدى خمس سنوات أصبح للطب بفضل هؤلاء و أولئك معجم يضم أكثر من ستة آلاف كلمة.

كما ألحق هؤلاء المترجمون تلاميذ بالمدرسة، ليتلقوا علوم الطب فيسهل عليهم بعد ذلك معرفة المصطلحات و تفهم المواد التي يقومون بنقلها للتلاميذ، و الكتب التي يقومون بترجمتها، كذلك أنشأ مدرسة لتعلم الفرنسية ألحقها بمدرسة الطب، و شجع تلاميذه على الالتحاق بها، و قد عمل الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي مدرسا للترجمة بعشرين تلميذا بعد عودته من فرنسا.[1]

1- تاريخ الترجمة و الحركة الثقافية في عهد محمد علي، د. جمال الدين الشيال، ص 20.

كذلك أرسل اثنتي عشر تلميذا من أوائل الخريجين بعد خمس سنوات من انشاء المدرسة إلى فرنسا في بعثة طبية عام 1832م، ليعودوا فيعينوا معيدين و مساعدين للأساتذة الأجانب، و ليقوموا بترجمة الكتب التي يختارها لهم أعضاء مجلس المدرسة و لا تطبع هذه الكتب إلا بعد عرضها على مترجمي المدرسة، و مصححيها أجمعين، و كان من القوانين التي أصدرها ديوان المدارس لتنظيم التعليم في مصر سنة 1826م أن يجتمع مدرسو مدرسة الطب المصريون في غرفة الترجمة بالمدرسة ساعتين قبل الظهر و ساعتين بعد الظهر.

و قد تكررت الخطوات نفسها مع بعض التغيير و التحويل في مدارس الصيدلة و الولادة، و الطب البيطري، و كذا المدارس الزراعية و الهندسية و الصناعية و المدارس الحربية و البحرية.

أرسلت في عهد محمد على سبع بعثات أولها سنة 1809م إلى إيطاليا، ثم تعددت البعثات إلى إيطاليا و فرنسا و انجلترا و النمسا لدراسة مختلف العلوم و كانت الترجمة ضمن الدراسات المطلوبة. و الحقيقة أنه لم يبعث للتخصص في الترجمة إلا رفاعة الطهطاوي، و إن كان يراعي دائما في منهاج الدراسة إعداد المبعوثين للتخصص في علومهم و فنونهم أولا، ثم اتقان اللغات الأجنبية ثانيا ليترجموا كتبا في تخصصهم.[1]

1- تاريخ الترجمة العربية بين الشرق العربي و الغرب الأوروبي، د. محمد عوني عبد الرؤوف، ص 250-251.

و مهما يكن من أمر فإن الحياة الثقافية و العلمية في عهده "ازدهرت ازدهارا واسعا و كانت الصفة العلمية هي الغالبة"[1]. فمساعي محمد علي و أهدافه في البداية لم تكن أدبية، و إنما كرس جهوده نحو الحياة العلمية.

و لكن "ما إن أخذت هذه النهضة المباركة تنمو رويدا حتى ولي الأمر العباس الأول ثم سعيد، فخبا نورها، و وقف تيارها لرغبة هذين الأميرين عن العلم و التعليم"[2]. لتنشط فيما بعد بحيوية معتبرة في عهد الخديوي اسماعيل الذي كان وراء انجازات عدة و قد "تميز عهد اسماعيل بنهضة الأدب على حين أن النهضة في زمن محمد علي كانت نهضة علمية".[3]

1- الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، د. جودة الركابي، ص 274.

2- تاريخ الأدب العربي، أحمد الزيات، دار الثقافة، بيروت، ط28، د ت، ص 283.

3- المرجع السابق، ص 265.

المبحث الثاني: رفاعة الطهطاوي و جهوده في الترجمة

يقول جودة الركابي :" لا يمكننا أن ننكر فضل عدد كبير من أدباءنا الذين قاموا بنقل علوم أهل الغرب و آدابهم إلى أدبنا، فهم كثيرون و تعدادهم يفوق الحصر"[1]. فلقد اخترنا نموذجا من رواد الترجمة و الذي يعتبر الرائد الأول في العصر الحديث في ميدان الترجمة و هو رفاعة رافع الطهطاوي ولد في 15 أكتوبر 1801م بمدينة طهطا احدى مدن بمحافظة سوهاج بصعيد مصر، و يبدأ المنعطف الكبير في سيرة الطهطاوي مع سفره سنة 1242هـ/1826م ضمن بعثة عددها أربعين طالبا أرسلها محمد علي على متن السفينة الحربية (لاترويت) لدراسة العلوم الحديثة، و بعد خمس سنوات حافلة أدى رفاعة امتحان الترجمة، و قدم مخطوطة كتابه الذي نال بعد ذلك شهرة واسعة "تخليص الابريز في تلخيص باريز" ، و قد التحق بالأزهر و هو في الثانية عشر من عمره[2]. و هناك تخصص في دراسة اللغة الفرنسية، و ترجم الكثير من الفصول و الرسائل عن اللغة الفرنسية إلى العربية أثناء إقامته في باريس و أعد نفسه للاشتغال بالترجمة، فعُيّن مترجما في مدرسة الطب بالقاهرة ثم نقل بعد سنتين مترجما بمدرسة الطوبجية فترجم بعض الكتب الهندسية و الجغرافية[3].

1- الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار ، جودة الركابي، ص291.

2- نبذة حول الكاتب: رفاعة الطهطاوي، موقع أدب.

3- التاريخ و المؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر، د. جمال الدين الشيال، مكتبة النهضة المصرية، ط1، ص 49.

و لهذا بادر رفاعة أثناء قيامه بوظيفة مترجم في مدرسة الطوبجية بإنشاء مدرسة خاصة لتدريس هذين العلمين، و ستكون هذه المدرسة النواة الأولى لمدرسة الألسن التي ستنشأ فيما بعد. لم يقنع رفاعة بهذا الفصل أو بهذه المدرسة "كما يجب أن نسميها" فقد كانت له أهداف كبرى ترمي إلى نقل "التاريخ على اختلافه" من الفرنسية إلى العربية، فتقدم بعد قليل إلى محمد علي يقترح إنشاء مدرسة أخرى لتعليم اللغات، و وافق هذا الاقتراح هوى في نفس محمد علي، فقد كان يريد ترجمة عدد كبير من الكتب الأوروبية في مختلف العلوم و الفنون ليستعين بها الطلاب في مدارسه الجديدة، و كان يعوزه في مصر وجود المترجمين الذين يتقنون اللغات الأوروبية ليقوموا بهذه المهمة، فأسرع بالموافقة و أنشأت مدرسة الألسن في أوائل سنة 1251هـ / 1835م، و عين رفاعة ناظرا لها، و في أوائل سنة 1258هـ / 1841م أنشئ قلم للترجمة و ألحق بالمدرسة، و عين فيه خريجوها ليقوموا بترجمة الكتب التي تطلب الحكومة بترجمتها[1].

وفي هذه الفترة تجلى المشروع الثقافي لرفاعة الطهطاوي ووضع الأساس لحركة النهضة "فقد كان بمثابة همزة وصل بين الثقافة العربية و الثقافة الأجنبية المجاورة والمعاصرة، الأمر الذي جعل منه أستاذ التنوير في الفكر العربي الحديث كما سماه محمد عمارة"[2].

1- التاريخ و المؤرخون في القرن التاسع عشر، د. جمال الدين الشيال، ص 50.

2- أنظر مقالة عن الطهطاوي في مجلة الدوحة نوفمبر 1981م، عدد 71، ص 74.

و لقد كانت جهوده كلها موجهة في النصف الأول من القرن التاسع عشر لترجمة الكتب التاريخية، و لتزويد المكتبة العربية بمجموعة من الكتب العربية تغطي تاريخ العلم بقدر الإمكان، و قد عمل في هذا الميدان رائدا يحيط به و يساعده جماعة من نوابغ تلاميذه خريجي مدرسة الألسن. أما في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (و خاصة في عصر إسماعيل) فقد خطى رفاعة الخطوة الثانية الطبيعية، و بدأ يؤلف في التاريخ، و في تاريخ مصر بالذات.

عاشت مدرسة الألسن نحو الخمسة عشر عاما بدأت تسيطر فيها على شؤون الثقافة العامة في مصر، و أنتجت في إبانها الإنتاج العلمي الوفير، و يبدوا أن رفاعة كان يراعي رغبات الوالي و حاجات الحكومة و المدارس عند اختيار الكتب التي تترجم، و لكنه كان يتخير الكتب التاريخية تبعا لخطة رسمها لنفسه، فإنه يتضح من مراجعة هذه الكتب أنه كان يريد أن يترجم كتبا مختلفة تغطي تاريخ العالم منذ أقدم العصور حتى أحدثها، و إن كان تاريخ فرنسا قد حظا منه بعناية خاصة، فقد ترجم فيه أكثر من كتاب، و لعل هذا راجع لثقافة رفاعة الفرنسية أو للعلاقات التي كانت تربط بين مصر و فرنسا منذ نزلت بأراضيها الحملة، أو لاستعانة محمد علي بالفرنسيين إيثاره و إيفاد معظم البعثات إليها[1].

1- التاريخ و المؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر، د. جمال الدين الشيال، ص 60.

إلا أن جميع المؤلفات التي نقلت إلى العربية هي تعكس العلوم الدخيلة التي نقلت على حد تعبير جرجي زيدان" عن اللغات الإفرنجية في هذه النهضة من كتب الطب و الطبيعيات و الرياضيات و العلوم الاجتماعية والاقتصادية و الحقوقية و آداب الافرنج الشعرية و الأدبية غيرها"[1]. و قد عني رفاعة بعلم التاريخ هذه العناية، و عهد إلى تلاميذه بترجمة الكتب الكثيرة فيه لأسباب متعددة، أولها ميله الخاص و ثانيها و أهمها ما كان يُحسُهُ من شغف محمد علي الشديد بدراسة حوادث الأمم و تراجم عظماء الرجال، بدأ رفاعة بتنفيذ هذه الخطة، فاختار كتابا في تاريخ الدول و الشعوب القديمة من مصريين و سريانيين و بابليين و أكراد و فرس و يونانيين. و عهد إلى تلاميذه في مدرسة الألسن بترجمته و سمي هذا الكتاب بعد تعريبه "بداية القدماء و هداية الحكماء" و كان هذا الكتاب أول كتاب تاريخي تترجمه مدرسة الألسن، فقد طبع في سنة (1254هـ-1839م) و اشترك في ترجمته ثلاثة من تلاميذ رفاعة هم: مصطفى الزرابي و محمد عبد الرزاق، و عبد الله أبو السعود، و بعد الفراغ من ترجمة هذا الكتاب في تاريخ العالم القديم، تخير رفاعة كتابا آخر في تاريخ العصور الوسطى، و عهد إلى مصطفى الزرابي بترجمته، فخرج كتابا كبيرا في جزأين و قد سمي هذا الكتاب "قرة النفوس و العيون يسير ما توسط من القرون". و بعد سنوات عهد إلى تلميذ آخر هو حسن قاسم بترجمة كتاب ثان، في تاريخ فرنسا من تأليف المؤرخ الفرنسي "مونيقورس" طبع في بولاق.[2]

1- تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، دار منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1978م، ج4، المجلد الثاني، ص 528.

2- التاريخ و المؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر، د. جمال الدين الشيال، ص 61.

و قد عرف رفاعة أن محمد علي يعنى عناية خاصة بدراسة سيرة أمثاله من الملوك و المصلحين، و الذين نهضوا بأممهم نهضات يذكرها التاريخ، و لهذا اختار "تاريخ ملك من ملوك الفرنج تعلوا همته بينهم على المريخ، و هو تاريخ بطرس الأكبر، الذي فضله بين ممالك أوربا أشهر من أن يذكر"، و عهد إلى نابغ آخر من تلاميذه و مواطنيه، و هو أحمد عبيد الطهطاوي ترجمته، و الكتاب من تأليف الفيلسوف الفرنسي المعروف فولتير.

و من كتب التراجم التي عربها خريجو الألسن كذلك كتاب "مطالع الشموس السير في وقائع كارلوس الثاني عشر" ملك السويد: ترجمة محمد مصطفى البياع.

هذه هي الخطة التي رسمها رفاعة لتزويد المكتبة العربية بعدد من الكتب يغطي تاريخ العالم في عصوره القديمة و المتوسطة و الحديثة، قد عمل على تنفيذها بالاستعانة بنفر من تلاميذ خريجي الألسن.

و كان من الممكن أن تؤتي مدرسة الألسن ثمارا أنضج و أن تؤثر في الثقافة العربية أثرا أقوى و أوضح لو أنها استمرت في طريقها، و لكن عباسا الأول لم يكد يلي عرش مصر لسنة 1848م حتى أمر بإغلاق هذه المدرسة، و في سنة 1863م ولي إسماعيل عرش مصر، و كان إسماعيل يرمي إلى إصلاح القضاء في مصر ليفلّ من حدة الأجانب[1].

1- التاريخ و المؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر، د. جمال الدين الشيال، ص 63-65 (بتصرف).

و لهذا بدأ يعد العدة لهذا الإصلاح بوضع المشروعات لترجمة القوانين الفرنسية، و إعداد المصريين الذين يصلحون لتولي مناصب القضاء الجديد، و لترجمة القوانين أنشئ قلم الترجمة الجديد في سنة 1863م و لإعداد القضاة أنشئت مدرسة الألسن الجديدة في سنة 1868م.

و عين رفاعة ناظرا لقلم الترجمة، فاختار معاونيه في العمل جماعة من تلاميذه القدامى خريجي مدرسة الألسن القديمة هم: عبد الله السيد، و صالح مجدي، و محمد قدري، و محمد لاظ، و عبد الله أبو السعود، و بدأ رفاعة و تلاميذه بترجمة القانون الفرنسي.

و قد توفي رفاعة الطهطاوي سنة 1290هـ/1873م.

أ- معاصروه و تلاميذه:

و قد عاصر رفاعة في عصر محمد علي عدد من شيوخ الأزهر الذين تتلمذوا على يد الشيخ حسن العطار و تأثروا به و أقبلوا على دراسات فيها شيء من التجديد من أمثال الشيخ إبراهيم الدسوقي، و الشيخ محمد عياد الطنطاوي، و الشيخ محمد عمر التونسي و غيرهم، و لم تتح لهؤلاء فرصة السفر إلى أوروبا كما أتيحت لرفاعة، و لكنهم ساهموا – معظمهم- في خدمة حركة الترجمة على وجه آخر.[1]

1- التاريخ و المؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر، د. جمال الدين الشيال، ص 84-86 (بتصرف).

فشاركوا المترجمين في مراجعة الترجمات و تصحيحها و تحريرها، و قد أدوا للثقافة العربية خدمات كبيرة، فقد كانوا ينبشون في المراجع العربية اللغوية و العلمية القديمة للبحث عن المصطلحات العلمية العربية التي تقابل المصطلحات العلمية الأوروبية.

و قد اتصل الشيخ إبراهيم الدسوقي بالمستشرق الإنجليزي المسترلين عند مجيئه إلى مصر و عاونه معاونة فعالة في ترجمة القاموس المحيط إلى اللغة الإنجليزية. و اتصل الشيخ محمد عياد الطنطاوي بكثير من المستشرقين الذين كانوا يفدون إلى مصر في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر.

إن رفاعة استعان بنفر من تلاميذ مدرسة الألسن لتحقيق الخطة التي وضعها لتزويد المكتبة العربية بعدد من الكتب المترجمة لتغطية تاريخ العالم في عصوره المختلفة، و لم يعرف تلاميذ الألسن و خريجوها في أول الأمر التخصص في ترجمة علم يعينه، و إنما كان يفرغ أحدهم من ترجمة كتاب في التاريخ، فيعهد إليه بترجمة آخر في الطب، ثم ثالث في الكيمياء، أو في الجغرافيا و هكذا.

و لكننا نلاحظ أن ميول الخرجين الخاصة، و وظائف الترجمة التي تولوها بعد تخرجهم قد وجهت كلا منهم إلى نوع من التخصص في الترجمة أو التأليف في علم من العلوم[1].

1- التاريخ و المؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر، د. جمال الدين الشيال، ص 87.

فاتجه محمود خليفة، و أبو السعود، و مصطفى الزرابي، و محمد مصطفى البياع إلى ترجمة الكتب التاريخية، و اتجه صالح مجدى، و أحمد عبيد الطهطاوي إلى ترجمة الكتب الهندسية و الحربية، و محمد التيمي، واليد عمارة، و حسين علي الديك إلى ترجمة الكتب الرياضية، و عبد الله السيد، و محمد قدري إلى ترجمة الكتب القانونية و التأليف فيها.

و قد أشرنا من قبل إلى بعض الكتب التاريخية الهامة التي ترجمها تلاميذ رفاعة في مدرسة الألسن، و نستطيع أن نظيف إليها هنا كتابين آخرين ترجمهما "خليفة محمود"، و هما: " إتحاف الملوك الألباب بتقدم الجمعيات في بلاد أوروبا" و "إتحاف ملوك الزمان بتاريخ الإمبراطور شارلكان"، و الكتاب الأول مقدمة للثاني، و هما من تأليف المؤرخ الإنجليزي روبرتسون Robertson ، و إن كان خليفة محمود قد ترجمهما عن ترجمة فرنسية[1].

1- التاريخ و المؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر، د. جمال الدين الشيال، ص 88.

ب- أسلوبه في الترجمة:

كان لرفاعة أسلوبان في الكتابة: أسلوب يستخدمه حين يكتب مقالا أو يؤلف، و هو ما يسميه أسلوب البلاغة، و أسلوب آخر حين يقوم بالترجمة. و كان يلتزم في أسلوب الترجمة نقل المعنى كلمة كلمة و سطرا سطرا، فإذا أراد أن يترجم دستور المملكة الفرنسية في عهد لويس الثامن عشر، التزم بمعنى الدستور، إذ أنه أحس بمسؤوليته عند الترجمة، و حرص على ألا يخطئ أو يوجز أو يترجم ما ليس موجودا بالأصل، و إنما قد يجرفه إليه الأسلوب البلاغي.

و هذا النوع من الترجمة هو ما التزم به في معظم الكتب التي يترجمها سواءًا أكانت علمية أم عملية، و هو ما التزم به أيضا في الكتب التي أشرف على ترجمتها، فهو أسلوبه مرسل يعنى بالمعنى، و لا يكون المبنى إلا وسيلة للتعبير الدقيق و التعريف بالفكرة.

و قد واجه رفاعة في ترجماته مشكلة مفردات اللغة و مصطلحاتها، و نقل هذه اللفظة إلى اللغة العربية. و لم تكن ترجمة الألفاظ أمرا هينا، إذ أن الأمر لم يكن قاصرا على دلالة اللفظة معجميا فقط، بل إن الأمر كان يتعلق بالسياق الذي يكون سببا في إكساب اللفظة معنى إضافيا، و من تم كان من واجب رفاعة تحديد معاني الكلمات الفرنسية ثم يلجأ إلى المعجمات العربية ليبحث عن ما يناسب معاني هذه الكلمات.[1]

1- تاريخ الترجمة العربية بين الشرق العربي و الغرب الأوروبي، د. محمد عوني عبد الرؤوف، ص 263-264.

فإن لم يتمكن من هذا لجأ إلى اللغة الدارجة المصرية أو بقايا الألفاظ التركية، فإذا لم يسعفه ذلك وضع اللفظة الفرنسية بنصها في الترجمة العربية و بالحروف العربية، مع تعديلها أحيانا لتتلاءم مع النطق العربي.

و قد أدرك رفاعة أنه لن يحسن الترجمة إلا إذا درس اللغة الفرنسية دراسة جيدة تمكنه من معرفة فحواها، و كيفية تركيب الجملة بها، و عقد المقارنات بينها و بين اللغة العربية، و قد تبين أن المصطلحات في كل من اللغتين تخالف نظيرها في اللغة الأخرى.[1]

و أخيرا كما يصرح فاروق شوشة عن رفاعة " أنه ليس رائدا للحركة الفكرية فحسب و إنما هو أيضا إمام المترجمين في العصر الحديث"[2]. فلقد قام بايقاظ العرب و المسلمين حتي أصبح الأب الشرعي لحركة اليقظة و الإحياء التي أدخلت أمتنا إلى عصرها الحديث.

1- تاريخ الترجمة العربية بين الشرق العربي و الغرب الأوروبي، د. محمد عوني عبد الرؤوف، ص 265-266 (بتصرف).

2- أنظر مقالة عن الطهطاوي في مجلة الدوحة، نوفمبر 1981م.

الفصل الثالث

كلية الألسن والألسنيسن

المبحث الأول: مدرسة الألسن و قلم الترجمة

قبل أن ينشئ محمد علي مدرسة الألسن، أنشأ عام 1250هـ/1834م مدرسة الإدارة الملكية لتخريج موظفين مثقفين بثقافة جديدة لمساعدته في إدارة حكومته. و كان عدد تلاميذها ثلاثين تلميذا، و عين التدريس بها أرتين شكري أفندي، و اسطفان رسمي أفندي عضوا البعث إلى فرنسا اللذان تخصصا في دراسة الإدارة الملكية.

و كان عليهما إلى جانب التدريس أن يقوما بترجمة ما يعهد إليهما في الصباح مما يراد ترجمته، و أن يقوما بترجمة دروس في الإدارة المدنية و إعدادها. و كان المراد من المدرسة تخريج مترجمين و موظفين لفروع الإدارة المصرية و لكن المدرسة لم تعمر، فما لبث أن ألغيت، و نقل تلاميذها إلى مدرسة الألسن في أواخر سنة 1251هـ/1836م، ثم أنشئت في حدود سنة 1250هـ/1835م مدرسة التاريخ و الجغرافيا و ألحقت بمدرسة المدفعية. و كان ناظرها الوحيد رفاعة رافع الطهطاوي، و أريد منها تخريج مدرسين للجغرافيا في المدارس الحربية المختلفة، ثم ألغيت هذه المدرسة عند انشاء مدرسة الألسن سنة 1251هـ/1835م و كان اسمها عند انشائها مدرسة الترجمة، ثم غير اسمها فأصبحت مدرسة الألسن.[1]

1- تاريخ الترجمة العربية بين الشرق العربي و الغرب الأوروبي، د. محمد عوني عبد الرؤوف، ص 251-252.

و اكتملت الدراسة بها سنة 1255هـ/1839م، و كان بها خمس فرق تدرس بها اللغات العربية و التركية و الفرنسية في المقام الأول و إن كانت الإنجليزية قد وجدت من يعنى بها و يبرع في الترجمة منها. مثل محمد أفندي سليمان مدرس الإنجليزية بالمدارس الحربية، و في سنة 1258هـ/1841م أنشأ قلم الترجمة و ألحق به كل خريجي المدرسة و لم يكن أي واحد منهم يمنح لقب مترجم حتى يترجم كتابا يحوز الرضا السامي، و قد رأت لجنة تنظيم التعليم سنة "أنه لما كانت الجاري ترجمتها معدودة آثارا خيرية من مآثر الخديوي الأعظم الذي تخلد اسمه الكريم إلى أبد الأبدين، فلا شك في أن الواجب يقضي بأن تكون التراجم مضبوطة مستوفية حقها من الصحة سليمة من الخطأ، فلهذا و لكون ترجمة كتب العلوم و الفنون ليست مقصورة على معرفة اللغة و حسب، بل متوقفة أيضا على الإلمام بالعلم أو الفن المترجم كتابه، فقد أنشأت اللجنة غرفة الترجمة الخاصة بالمترجمين"[1] و كانت الغرفة تشتمل على أربعة أقسام: قلم ترجمة الكتب المتعلقة بالعلوم و الرياضة، و قلم ترجمة كتب العلوم الطبية و الطبيعية، و قلم ترجمة المواد الاجتماعية، و قلم الترجمة التركية كما ألحق بهذه الأقسام عدد من المبيّضين لتبييض الكتب بعد ترجمتها و إرسالها إلى ديوان المدارس للاطلاع عليها و طبع النافع القيم منها[2].

1- تاريخ التعليم في عصر محمد علي، د. عزت عبد الكريم، ص 241.

2- تاريخ الترجمة بين الشرق العربي و الغرب الأوروبي، د. محمد عوني عبد الرؤوف، ص 252.

و في عهد عباس الأول 1849م/1854م ألغيت مدرسة الألسن في محرم سنة 1266هـ/1849م. أما قلم الترجمة فكان قد قسم في عهد ابراهيم باشا قلمين: قلم للترجمة التركية و يشرف عليه كانا بك، و قلم للترجمة العربية و يشرف عليه رفاعة بك، إلا أن الغاء مدرسة الألسن أثر في قلم الترجمة أثرا بليغا فلم يكن له أي مدد من المترجمين المهرة بعد ذلك.

أ- المترجمون:

و من أشهر المترجمين الجانب في هذا العصر الدكتور برون Dr.Perron الفرنسي الأصل الذي تلمذ إلى جانب دراساته الطبية لكبير مستشرقي فرنسا سلفستر دي ساسيA.silvestre de Sacy و أرمان كوزين دي بارسفال الابن و كوزن دي بارسفال الأب و قد حضر برون إلى مصر سنة 1243هـ/1827م و قام بتدريس الطبيعة و الكيمياء بمدرسة الطب.أما المترجمين الذين أرسلهم محمد علي في بعوثه الأولى إلى إيطاليا 1813م-1816م لدراسة فنون و علوم مختلفة أهمها الطباعة و من بينهم عثمان نور الدين الذي أمره بشراء مجموعة كبيرة من الكتب الأوروبية، ثم أرسل نيقولا مسابكي إلى إيطاليا للتخصص في فن الطباعة، ساعد في وضع المعجم الأول ليعين الترجمة عن الإيطالية.[1]

1- تاريخ الترجمة بين الشرق العربي و الغرب الأوروبي، د. محمد عوني عبد الرؤوف، ص 253.

ثم استعان محمد علي بالسوريين المقيمين بمصر لكثرة الكتب المراد ترجمتها و منهم:

أ- الأب أنطون رفاييل زاخور راهبة: و كان العضو الشرقي الوحيد في مجمع نابليون، كما كان المترجم الأول بديوان مينو، و قد كلفه محمد علي بوضع معجم للغتين العربية و الإيطالية.

ب- يوحنا عنجوري: من أقدم الأسر السورية، و كان يجيد اللغتين العربية و الإيطالية، قام بترجمة الكثير عن الفرنسية في الطب و الجراحة و الطبيعة و النبات.

ج- جورج فيدال: عين مترجما بمدرسة الطب، و اختص بترجمة كتب الأستاذ برنار.

د- أوغسطين سكاكيني: و هو سوري من دمشق اشترك مع جورج فيدال في الترجمة بمدرسة الطب.

هـ- يوسف فرعون و كان مترجما بمدرسة الطب البيطري، و قد قام بتصحيح كتبه و تحريرها الشيخ مصطفى حسن كساب.[1]

1- تاريخ الترجمة بين الشرق العربي و الغرب الأوروبي، د. محمد عوني عبد الرؤوف، ص 251-252 (بتصرف).

ب- المصححون:

إن الذين قاموا بمراجعة الكتب المترجمة في ذلك العصر و بتصحيحها كانوا يقومون بجهد عظيم، و خاصة الشيخ محمد عمر التونسي و الشيخ نصر الهوريني في احياء المصطلحات العلمية العربية القديمة و محاولة التوفيق بينها و بين المصطلحات الأوروبية الحديثة، بعد مراجعة كتب العرب في الطب و الهندسة و الرياضيات.

و قد أفادوا حركة الترجمة فائدة لاشك فيها، فجاءت الكتب المترجمة سليمة من الركاكة خالية من الأخطاء، فضلا عن استعمالهم بعض المصطلحات العربية القديمة إذا ما اتفقت و المصطلحات الأوروبية الحديثة.

إلا أنه لازالت المكتبة العربية فقيرة في ترجمة التراث الأدبي الرفيع من الأدب الأوروبي، و ذلك ما جاء في احدى مقالات وديع فلسطين في مجلة المجمع "و مازال جهد المترجمين متواضعا إذا قوبل بالعبء الثقيل الملقى على عواتقهم، و مازال عدد المترجمين المتمكنين ضئيلا في الوسط العربي".[1]

1- مقدمات الترجمة الصحيحة، مجمع اللغة العربية، ج1 1962م، ص 43.

المبحث الثاني: كلية الألسن الحديثة

ورد بكتاب الترجمة و مشكلاتها الذي صدر عام 1985 للأستاذ إبراهيم زكي خورشيد:"إن مدرسة الألسن التي أنشأت حديثا لم نسمع أنها أخرجت مترجما نابغا، و يظهر أنه قد لحقت بها آفة انحطاط مستوى التعليم".

و الحق أن مدرسة الألسن أنشأها الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي في سنة (1251هـ/ 1835م) لتكوين جيل من المثقفين يكونون صلة بين الثقافات العربية و الغربية، ضالعين في الآداب العربية و في آداب اللغات الأجنبية، قادرين على نقل الكتب الأجنبية و على النهوض بالإدارة الحكومية فيما يعهد إليهم من مناصب.

و كان من أهدافها تخريج المترجمين، و لعل ما ورد بهذا الكتاب عن جهود رفاعة الطهطاوي و جهود تلاميذه و ترجماتهم تدل على ما بدلته المدرسة و بذله تلاميذها في ميدان الترجمة، و قد تعرضت المدرسة للإغلاق أكثر من قرن و نصف، ثم أعيدت بالاسم نفسه عام 1951م بعمادة المرحوم الدكتور "مراد كامل" و كانت الدراسة بها مسائية كي تتيح لطلاب الجامعات فرصة إتقان اللغات الأجنبية، و ضل د. مراد عميدا لها إلى 1957م[1].

1- تاريخ الترجمة العربية بين الشرق العربي و الغرب الاوروبي، د. محمد عوني عبد الرؤوف، ص 310.

و في عام 1957م صدر قرار بإنشاء مدرسة الألسن العليا، و أصبحت بمقتضاه في مصاف المعاهد العليا، و تمنح خريجيها درجة الليسانس " و صارت مدرسة الألسن المدرسة العليا الوحيدة في الشرق لدراسة اللغات دراسة تخصصية مع الاهتمام الخاص بالترجمة".

و في 20 ديسمبر عام 1973م صدر القرار الجمهوري رقم 1952م يضم مدرسة الألسن العليا إلى جامعة عين شمس كلية مستقلة باسم الألسن، و يوجد بكلية الألسن الآن ثلاثة عشر قسما لغويا و هي: قسم اللغة العربية — قسم اللغة الانجليزية – قسم اللغة الفرنسية – قسم اللغة الإيطالية – قسم اللغة الإسبانية – قسم اللغة الألمانية — قسم اللغات السلافية – قسم اللغة اليابانية – قسم اللغة الصينية – قسم اللغات الإفريقية – قسم اللغات الشرقية الإسلامية – قسم اللغات السامية – قسم اللغة الكورية. و من لغات الأقسام المختلفة إلى اللغة العربية و من أهم مواد التدريس، فضلا عن وجود دراسات عليا للترجمة التحريرية و الفورية مدة الدراسة بها سنتان، يتقدم الطالب بعدها برسالة للحصول على درجة الماجستير في الترجمة، و يمكن أن يعد رسالة للحصول على درجة الدكتوراه بعد ذلك. أما عن النشاط الترجمي بالكلية فيكمن تنبيه فيما تعقده الكلية من ندوات و تصدره من مجلات، و ما يقوم به الأساتذة و أعضاء هيئة التدريس من ترجمات عن مختلف اللغات التي تدرس بالكلية أو إليها، و مشاركتهم[1]

1- تاريخ الترجمة العربية بين الشرق العربي و الغرب الاوروبي، د. محمد عوني عبد الرؤوف، ص 310-311.

في أنشطة الترجمة و مجالسها بالمجالس العلمية المتخصصة و مجالاتها و قد بدأت الندوات بندوة الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي (18- 21 ديسمبر 1976م) و عقد بعدها ندوات كثيرة (كل عامين أو ثلاثة حتى الآن).

و تصدر الكلية ثلاث مجلات للدراسات الأدبية و اللغوية و الترجمة هي:

*صحيفة الألسن التي صدر أول عدد منها في شهر ذي القعدة 1392هـ/ ديسمبر 1972م و صدر في يناير 2008م العدد 24.

*مجلة فيلولوجي التي صدر العدد الأول منها سنة 1980م و صدر في 2008م العدد 49.

*مجلة الألسن للترجمة التي صدر العدد الأول منها في يناير 1998م، و صدر العدد 8 في 2006م، أما عن النشاط الترجمي في مصر للأساتذة أعضاء هيئة التدريس و دراساتهم اللغوية التقابلية و المقارنة، و الأدبية التقابلية فهي أكثر من أن تعد و تحصى. و قد كتب الدكتور ماجد مصطفى الصعيدي و توقف عند بعض الدلالات التي استخلصها من في العدد السابع لمجلة الألسن الصادرة 2006م مقالا بعنوان "الألسنيين و المشروع القومي للترجمة"[1]

1- تاريخ الترجمة العربية بين الشرق العربي و الغرب الأوروبي، د. محمد عوني عبد الرؤوف، ص 311-312.

و توقف عند بعض الدلالات التي استخلصها من هذا الرصيد، و قد بين سيادته أن عدد كتب الألسنين الذين أسهموا في المشروع تسعة و خمسون كتابا من الألف كتاب الأولى في المشروع القومي للترجمة، و قد قسمهم إلى ألسنيين يعملون بكلية الألسن، و أنهم قاموا بالترجمة عن تسع لغات، سبع منها أوروبية حديثة هي: الإسبانية و الفرنسية و الألمانية و الإنجليزية و الإيطالية و التشيكية و الروسية، و اثنتان من اللغات الشرقية هما الصينية و العبرية.[1]

[1]- تاريخ الترجمة بين الشرق العربي و الغرب الأوروبي، د. محمد عوني عبد الرؤوف، ص 312.

المبحث الثالث: الألسنيين و المشروع القومي للترجمة

في يناير 2006 صدر الكتاب رقم 1000 في المشروع القومي للترجمة، و منذ اللحظة الأولى لميلاد هذا المشروع الطموح، على يد الدكتور جابر عصفور الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة كان للألسنيين إسهامهم البارز في هذا المشروع الترجمي من لغات غربية و شرقية إلى اللغات العربية، سواءً كانوا أساتذة بالكلية أو يعملون بخارجها.

و سلسلة المشروع القومي للترجمة تعد حلقة جديدة من حلقات الإسهام المصري الممتد في حركة الترجمة إلى العربية التي بدأت في القرن الأول هجري على يد مصريين أقباط بتكليف من الأمير الأموي "خالد بن يزيد بن معاوية" (ت 85هـ- 704م)، و في العصر الحديث كانت لمصر أيضا الرّيادة في مجال الترجمة إلى اللغة العربية عندما أسس الشيخ رفاعة الطهطاوي مدرسة الألسن سنة 1835م، بدأ المجلس الأعلى للثقافة بوزارة الثقافة في عام 1995م المشروع القومي للترجمة الذي يعد خطوة قومية ضرورية سعى المجلس لتحقيقها كما يكتب الأستاذ الدكتور جابر عصفور الأمين العام للمجلس آنذاك: "يضاعف من إمكانات حركة الترجمة على المستوى القومي"، و قد وضعت الجماعة التي خططت لهذا المشروع القومي مجموعة المبادئ الأساسية، و جعلتها إطارا مرجعيا تهتدي به حركة المشروع[1].

1- تاريخ الترجمة بين الشرق العربي و الغرب الأوروبي، د. محمد عوني عبد الرؤوف، ص 313-314.

و يكتب أ. د. جابر بمقدمة قائمة مطبوعات الألف الأولى: "لم نفكر في هذه المبادئ على أساس من تفكير نظري خالص أو من تأمل بعيد يتعالى على الواقع، و إنما من ممارسة فعلية تبدأ بالممكن لتجاوزه الأكمل الذي لا يقع في دائرة المستحيل". و قد احتفل مع بداية عام 2006م بإصدار الكتاب رقم 1000 أما المبادئ الأساسية التي وضعت فيمكن تلخيصها في ستة مبادئ أساسية و ينهي أ. د جابر عصفور مقدمته بقوله "و قد نجحنا بالفعل، بفضل الرؤية التي صاغت هذه المبادئ، في الترجمة عن حوالي ثلاثين لغة مختلفة، غربية و شرقية، شمالية و جنوبية، منها لغات أساسية و إفريقية يترجم عنها للمرة الأولى".

و قد أصدر المركز القومي للترجمة إحصاءات مهمة عن الألف كتاب المترجمة بالمشروع القومي للترجمة فيما بين 1995م/ 2006م عن الموضوعات التي ترجم فيها، و عدد الكتب التي ترجمت فيها، و هي عشرة موضوعات: معارف عامة، و فلسفة، و علم النفس، و ديانات، و علوم اجتماعية، و لغات و علوم حية، و علوم تطبيقية، و فنون و آداب، و تاريخ و جغرافيا، و آثار و تراجم. عدد اللغات المترجم عنها سبعة و عشرون لغة، بلغت نسبة الكتب المترجمة التي لم يمض على صدورها بلغتها الأصلية أكثر من 10 سنوات 60%.عدد المترجمين 492 (بينهم 80 مترجما و مراجعا من غير المصريين)، عدد مصممي الأغلفة 46.[1]

[1] ـ تاريخ الترجمة بين الشرق العربي و الغرب الأوروبي، د. محمد عوني عبد الرؤوف، ص 279-280.

المبحث الرابع: الإطار القانوني للترجمة في مصر و العالم

لكل نشاط بشري إطار قانوني يعمل فيه و يحدد الممكن و المتاح و المحظور منه فالمهندس و الطبيب و كافة أصحاب المهن يعملون في إطار قانوني يحدد ممارساتهم و يقننها مما قد يؤثر على المهنة سلبا أو إيجابا، خمولا أو نشاطا.

و كذلك التأليف و الترجمة، فهما نشاطان إنسانيان يعملان في إطار قانوني لابد و أن يلتزم به كل من المؤلف و المترجم. و لئن كانت مختلف المهن عرفت تقنينا مبكرا لها، فإن مهنة التأليف و كذلك الترجمة لم تصدر لها تشريعات تنظمها إلا في فترة متأخرة، في القرن الثامن عشر و التاسع عشر في الدول الكبرى الثرية، و في النصف الأول أو الثاني من القرن العشرين في الدول المسماة بالنامية. و للمؤلف في مختلف قوانين العالم نوعان من الحقوق:

أولا: حقوق المالية و هي الحق في الحصول على عائد من استغلال عمله الذهني.

ثانيا: حقوق معنوية و تتمثل في أربعة حقوق:

1- الحق في نشر عمله الذهني أو عدم نشره.

2- الحق في نسبة العمل إليه و هو ما يعرف بحق الأبوة[1].

1- تاريخ الترجمة بين الشرق العربي و الغرب الأوروبي، د. محمد عوني عبد الرؤوف، ص 114.

3- الحق في الحفاظ على سلامة عمله و عدم إدخال أية تعديلات عليه.

4- حق الندم: و هو الحق في سحب العمل من التداول.

و الجدير بالذكر أن الحقوق المادية للمؤلف ليست أبدية و إنما هي مؤقتة بعدد من السنوات يسقط بعدها في الملك العام (في مصر بعد خمسين سنة من وفاة المؤلف) أما الحقوق المعنوية فهي أبدية.

و جدير بالذكر أن المترجم لابد أن يحمل أولا على موافقة المؤلف أو صاحب الحق، كما أن عليه أن يحافظ على سلامة العمل الأصلي دون أي حذف أو إضافة، و حينذاك يصير للمترجم صاحب حق مؤلف على ترجمته، لا يجوز لأحد استغلالها إلا بإذن المترجم، و هذه هي الحقوق المادية، كما أن للمترجم حقوقا معنوية على ترجمته هي نفس حقوق المؤلف:

1- فله حق الأبوة أي نسبة الترجمة إليه.

2- و له وحده الحق في تقرير نشر ترجمته أو عدم نشرها.

3- و له وحده الحق في المحافظة على سلامة ترجمته فلا يضاف إليها أو يحذف منها إلا بإذنه.

4- و له حق الندم: أي حق سحب ترجمته من التداول[1].

[1] - تاريخ الترجمة بين الشرق العربي و الغرب الأوروبي، د. محمد عوني عبد الرؤوف، ص 414-415.

و تستعد مصر لمؤتمر موسع للترجمة في إطار احتفالاتها بترجمة "الألف كتاب". و هو عرس كبير تستحق مصر أن تستضيفه، لاسيما أن دورها الرائد التوعوي التعليمي الريادي ليس بخاف على متابع للحركة الثقافية العربية و إذا كانت للترجمة إلى العربية هي المحتفى بها، فإن الترجمة من العربية أيضا يجب أن تكون محل اهتمام كل المسؤولين عن الثقافة في الوطن العربي في إطار خطة عربية للترجمة لمنع تكرار ترجمة الكتاب نفسه، و لعل اللافت للنظر و المستدعي إلى تدخل عاجل هو ما صدر في قانون 82 لسنة 2002 م في شأن حماية حقوق الملكية الفكرية. حيث أجاز هذا القانون ترجمة ما يكتب بلغة أجنبية إذا ما مضت ثلاث سنوات على النشر دون ترجمته إلى اللغة العربية، و هو نص يخاطب المصري و الأجنبي ممن يكتبون بلغة أجنبية و قد أثار هذا النص ثائرة المثقفين في مصر و خارجها و كان الرد الحاضر لدى البعض أن مصر في حاجة إلى الاستفادة مما يكتب بلغة أجنبية فكان لزاما السماح بالترجمة إلى اللغة العربية إذا لم يقم المؤلف بهذه الترجمة بنفسه أو بواسطة غيره بعد مضي ثلاث سنوات كاملة، لاسيما أن القانون المصري السابق رقم 354 لسنة 1954م كان يتضمن نفس النص و إن كان المدة التي نص عليها خمس سنوات و ليس ثلاثا.

لقد استفادت مصر طبقا لاتفاقية برن الدولية عام 1976م، و من اتفاقية إنشاء منظمة التجارة العالمية عام 1995م، و نص القانون المصري الحالي نفسه عن الحق في الترجمة و النسخ، بدون قيد زمني بترخيص يصدر من وزارة الثقافة إذا أثبت الساعي إلى الترجمة عدم

توفيقه في الوصول إلى المؤلف أو الناشر الأجنبي أو أثبت تعسفهما بطلب مبلغ مالي و لا يكون لأيهما سوى الحق في مقابل عادل جرى العرف على تحديد حده الأقصى ب 15 % فقط من سعر الغلاف المزمع طرح المصنف بها اللغة العربية و هذا النص يضمن لمصر و غيرها من الدول النامية استفادتها من أي مصنف جديد فور صدوره فتنقله إلى العربية في إطار من الشرعية الدولية و لن يكون عليها سوى أن تسدد نسبة مئوية لا تتجاوز 15 % من سعر الغلاف إلى المؤلف المعني على أن تحافظ وزارة الخارجية على تجديد تمسك مصر بهذا النظام الاستثنائي المقرر لصالح العالم النامي.

إلا أنه لابد أن يعجل بإلغاء المادة 148 من القانون 82 لسنة 2002م لاسيما أنها موجهة إلى كل من يكتب بلغة أجنبية، و هو قانون ينطبق على المصريين ممن يؤلفون عادة باللغة الإنجليزية في مجالات الطب و الهندسة و الزراعة و الصيدلة.

خاتمة

تعتبر هذه الخاتمة تتويجا للبحث الذي قدمناه و استخلاصا للنتائج المهمة التي توصلنا إليها و التي تنحصر فيما يلي:

كان لمصر حظ سعيد في نطاق احتكاك الحضارة و تفاعلها و لو عن طريق الغزو و الحروب، فلقد استفادت من غزوة نابليون افادة عظمى كان اثرها بعيدا و عميقا و كانت رابطة بين عالم الغرب و عالم الشرق، و لكن إن قارنا بين حملة الترجمة في نهضتنا الحديثة بأختها القديمة في العصر العباسي، وجدناها في العصر الحديث انطلقت من حالة ضعف و تقهقر في حين أن القديمة انطلقت من حالة قوة و ازدهار لغة و أدبا و علما.

1- عناية محمد علي بالترجمة فقد كان اهتمامه موجها إلى الميادين العلمية و انشغل عن التراث الأدبي إلى وقت لاحق و بالتالي فإن من ثمار سياسة الخديوي محمد علي الثقافية و التي آتت أكلها بعد حين إن حدث اقبال منقطع النظير نحو ترجمة الآداب و هذا ما ميز النهضة العربية الاولى بانفرادها بنقل العلوم دون الآداب.

2- تمّ ترجمة الكتب التي كانوا في أمس الحاجة إليها.

3- على الرغم من المجهودات المبذولة في عهد محمد علي إلا أنها كانت ضئيلة سواءً تعلق الأمر بمستوى المترجمين أو بالتنقيب الدائم عن الآثار القيمة.

4- تأثر رفاعة رافع الطهطاوي بالكتابات الأجنبية.

5- لم يكن يسمح لموظفي قلم الترجمة إلا بترجمة الأعمال التي كانوا يأمرون بترجمتها.

6- لم تكن الترجمة تلبي حاجات و رغبات القراء بل كانت محلّ اهتمام و قرار الحكام.

7- إن الترجمة التي نالت أكبر اهتمام و عناية تميزت بكونها تنتسب عموما إلى أصحابها من المترجمين الأدباء لا إلى المترجمين الهواة.

8- إنّ الكثرة الغالبة من المترجمين في هذه الفترة ظهروا كمجرد نقلة لم يلموا بالثقافة العلمية و الأدبية لما ترجموه من كتب.

9- تفاعلت العربية باللغات الأخرى حديثا كما وقع ذلك سابقا، فأخذت من اللغات

الأخرى كالفرنسية و الإنجليزية و الإيطالية.

10– و مع ما كان هناك من فضل للترجمة على اللغة العربية بالنسبة إلى ما كانت عليه في بداية و أواسط النهضة إلا أنّ هناك جوانب سلبية و منها الابتعاد عن الكتابة المتينة.

11– عرفت الترجمة ضروبا من التشويه والاستهتار منها عدم ضبط قواعد الترجمة و المصطلحات و قلة من له الكفاءة و التمكن المنشودين من اللغة العربية.

12– و مهما قدمته الترجمة من خدمات كان ينقص من شأنها ما يلي:

أ-العمل في طار خطة مدروسة محكمة و ثابتة.

ب– ضبط وسائل تنسيق الحركة على مستوى الوطن العربي.

ج– إنشاء خطة العمل الجماعي و الترجمة المشتركة.

د– إنشاء مجمع علمي خاص بالترجمة.

هـ– دور النشر يجب ان تكون متمكنة خاضعة لهيئة مراقبة.

إنّ التقييم الأخير لحركة الترجمة كحركة فاصلة في التاريخ الثقافي للأمة العربية، هو أن السّعي كان مشكورا رغم النقائص، إذن لابد من الحث على الإكثار من الترجمة دون الوصول إلى ظاهرة التغريب المطلقة.

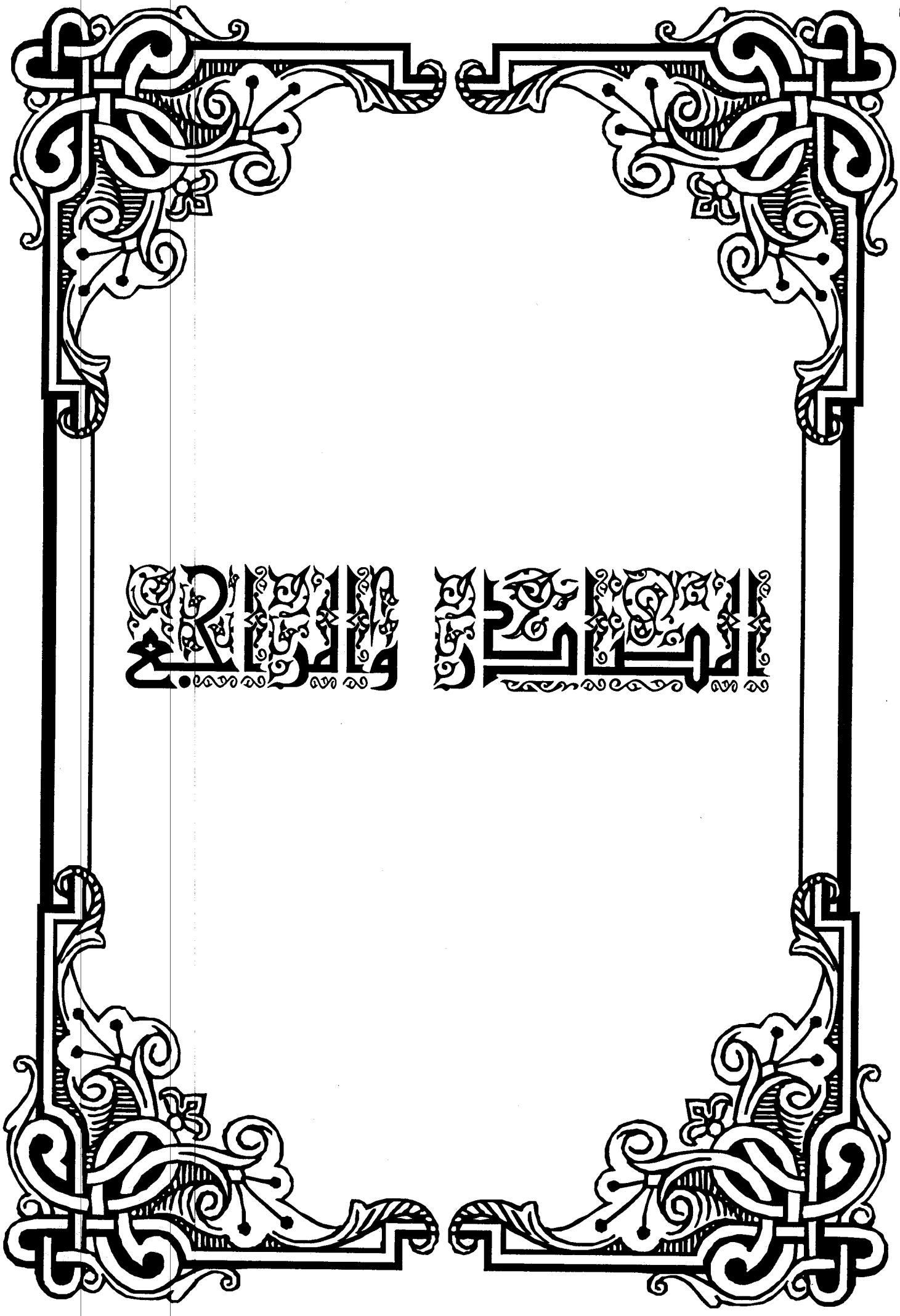
المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

1-أثر ازدهار حركة الترجمة على النهضة العلمية في بغداد في عهد الدولة العباسية، أحمد محمد إسماعيل، مركز الإسكندرية، د.ط، 1997م.

2-الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، جودة الركابي، دار الثقافة، دمشق، ط1، 1974م.

3-بدايات اهتمام الغرب بالمشرق العربي، مصطفى نجيب فواز، معهد الإنماء العربي، بيروت، د.ط، 1997م.

4-تاريخ الأدب العربي أحمد الزيات، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1951م.

5-تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، دار منشورات كتب الحياة، بيروت، ج4، المجلد الثاني، د.ط، 1978م.

6-تاريخ التعليم في عهد محمد علي، عزت عبد الكريم، دار الثقافة، د.ط، د.ت.

7-تاريخ الترجمة العربية بين الشرق العربي و الغرب الأوروبي، د. محمد عوني عبد الرؤوف، مكتبة الآداب القاهرة، ط1، 1429هـ/2008م.

8-تاريخ الترجمة و الحركة الثقافية في عهد محمد علي، جمال الدين الشيال، ادار الفكر، د.ط، د.ت.

9-تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية، جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1420هـ/2000م.

10-الترجمة في خدمة الثقافة الجماهرية، سالم العيس، منشورات اتحاد كتاب العرب، د.ط، 1999م.

11-التاريخ و المؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر، جمال الدين الشيال، مكتبة النهضة المصرية،ط1، 1958م.

12-الترجمة و التأويل، بريهمات عيسى، المجلة الجامعية، المركز الجامعي الأغواط، المجلد 3، العدد1، د.ط، 2003م.

13-حركة الترجمة في عصر النهضة، لطيف زيتوني، دار النهار بيروت، د.ط، 1994م.

14-حضارة العرب في العصر العباسي، حسين الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، ط1، 1414ه/1994م.

15-حول واقع الترجمة و ثقافة المترجم، د. شعيب مقنونيف، مجلة المصطلح، العدد1، د.ط، 2002م.

16-الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط2، 1966م.

17-دراسات في الترجمة و المصطلح و التعريب، شحادة الخوري، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، سوريا، ط1، 1989م.

18-علم الترجمة النظري، أسعد مظفر الدين الحكيم، دار طلاس، دمشق، ط1، 1989م.

19-الغربال، ميخائيل نعيمة، مؤسسة نوفل، بيروت، ط 10، 1975م.

20-كتب و مؤلفون، طه حسين، دار العلم للملايين، بيروت، 1984م.

21-القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز أبادي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الجزء الأوسط، 1417هـ/1997م، مادة: "الترجمان".

22-لسان العرب، ابن منظور الإفريقي المصري، مادة: "الترجمة"، دار صادر، بيروت، المجلد الثاني عشر، د.ط، 1417هـ/1997م.

23-لمحة عن مصر، كلوت بك، ط2، د.ت.

24-مقدمات الترجمة الصحيحة، مجمع اللغة العربية،ج1، د.ط، 1962م.

25-مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية، رفاعة الطهطاوي، دراسة و تحقيق محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 1973م.

26-المنجد في اللغة و الأعلام، دار المشرق بيروت، د.ط، 2003م.

27-مقالة عن الطهطاوي في مجلة الدوحة، عدد71، نوفمبر 1981م.

الفهرس

فهرس الموضوعات

دعاء.....

كلمة شكر و تقدير.....

مقدمة.....أ

مدخل.....2

الفصل الأول: الحملة النابليونية و أبعادها.....14

المبحث الأول: اتصال العلماء المصريين بعلماء الحملة الفرنسية.....17

المبحث الثاني: الترجمة الرسمية في عهد الحملة الفرنسية.....21

أ- هيئات المترجمين الرسميين في عهد الحملة الفرنسية.....23

ب- الأسرى الذين كانوا في جزيرة مالطا.....23

ج- المترجمون السوريون.....23

د- المترجمون المصريون.....24

المبحث الثالث: الترجمة العلمية في عهد الحملة الفرنسية.....26

الفصل الثاني: الترجمة في عهد محمد علي.....29

المبحث الأول: لمحة عن الترجمة في عهد محمد علي.....29

المبحث الثاني: رفاعة الطهطاوي و جهوده في الترجمة.....36

أ- معاصروه و تلاميذه.....41

ب- أسلوبه في الترجمة.....44

الفصل الثالث: كلية الألسن و الألسنيين.....47

المبحث الأول: مدرسة الألسن و قلم الترجمة.....47

أ- المترجمون.....49

ب- المصححون.....51

المبحث الثاني: كلية الألسن الحديثة.....54

المبحث الثالث: الألسنيين و المشروع القومي للترجمة.....56

المبحث الرابع: الإطار القانوني للترجمة في مصر و العالم العربي.....58

الخاتمة.....63

قائمة المصادر و المراجع.....66

فهرس الموضوعات.....70